مقالات إسلامية

تأليف

الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري

ترجمة السيد الهاشمي

مكتبة الألفين
طباعة . نشر . توزيع
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحييكم...

صدق الله العظيم

القرآن ٢٤-٨

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وقائدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

لقد حرصت مكتبة الألفين منذ تأسيسها على بث المعارف الاسلامية والتعاليم السامية وتعميمها على الملأ والجماهير في الكويت وفي سائر الاقطار الاسلامية الاخرى ، ايمانا منها بأن هذا العمل ، يُعَدُّ من أسمى الخدمات الانسانية ، وأرقى عمل اجتماعي ، وأهم واجب إلهي ، عسى أن يتاح للاسلام أن يقوم من جديد لانقاذ البشرية من المهالك ، وايصالها الى غاياتها في السعادة والطمأنينة ، ولتتبوأ مقامها الطبيعي في المجد والعزة والكرامة ، النابع من تمسكها بأهداب الدين الحنيف الذي حمله الينا سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أوصياؤه الأئمة الابرار المعصومون ثم العلماء الربَّانيون الذين دعوا للاصلاح بصدق وايمان ، استبقاء لتلك التعاليم ، وتطبيقاً لها ، بصورة صحيحة لا يتطرَّقُ إليها نسيان ، أو

تحريف أو تبديل ، الذين عناهم أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله : « لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهراً مشهوراً ، وإما خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيِّناته ، وكم ذا وأين أؤلئك ؟ . . .

اؤلئك ـ والله ـ الأقلُّون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً . يحفظ الله بهم حججه وبيِّناته ، حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين واستلاتوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلِّ الأعلى ، أؤلئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقاً الى رؤيتهم » .

ومكتبة الألفين ـ إذ تقدم للقراء الأعزاء هذا الكتاب ـ مقالات إسلامية ـ للاستاذ الشهيد المطهري وهو احد مشاهير العلماء القلة في عصرنا الحديث ، ويكفي ما قاله فيه الامام الخميني ـ حفظه الله ـ وهو أحد اساتذته في مواضيع الفلسفة والعرفان بعد أن فاز المطهري بالشهادة : « لقد غاب عنا المطهري الذي قلَّ مثيله في طهارة الروح وصلابة الايمان وقوة البيان »... لعلها بذلك تساهم ولو بقسط ضئيل في اقامة المجتمع الإسلامي وتطبيق العدل الالهي ليَعُمّ الخير وينال الناس سعادة الدارين . . .

والله ولينا انه نعم المولى ونعم النصير

نُبذة من حياة الأُستاذ المُطهّري

﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أَحياءٌ عِندَ ربهم يُرزقون ﴾

﴿ آل عمران ١٦٩ ﴾

(ولدَ الأُستاذ الشهيد في ١٣ بهمن ١٢٩٨ هجرية شمسية الموافق لـ ١٣ جمادي الأولى ١٣٣٨ هجرية قمرية في قرية فريمان من قرى محافظة خراسان . والده هو المرحوم الشيخ محمد حسين المُطهّري ، كان رجلاً ورعاً تقياً وانموذجاً في التقيّد بالسنُنِ الإسلامية . لقد تربى الأُستاذ في حجر هذا الوالد المتقي وكان يمتاز منذ طفولته عن الآخرين . فكان مُحباً للطهارة والتقوى، مُتجنباً الاعمال المشينة توّاقاً إلى العلم والمعرفة ذكياً نافذ البصيرة) .

(كان الأُستاذ يتلهف شوقاً إلى دراسة العلوم الدينية وهو في دور الصبا . ولـذلك هاجر إلى مدينة مشهد المقدسة في سنة

١٣١١ هجرية شمسية وعمرُه اثنا عشر سنة ودرسَ هناك مقدمات العلوم الدينية من المنطق والفلسفة والحقوق في الاسلام والأدب العربي .

(ثم هاجر الأستاذ المُطهّري إلى الحوزة العلمية في قم في سنة ١٣١٦ هجرية شمسية ، الموافق لعام ١٣٥٨ هـ .ق. وعمره آنذاك سبعة عشر عاماً وهو يحمل في قلبه شوقاً عظيماً إلى كسب المعارف الاسلامية .

وابتدأ هناك بالحضور في مجالس بحث الفقه والأصول لثلاثة من رجال الدين الاكابر: (آية الله الصدر، آية الله السيد محمد المحقق وآية الله السيد محمد حجت) .

وفيما بين سنة ١٣١٩ الموافق لعام ١٣٦١ هـ .ق. وسنة ١٣٣١ هجرية شمسية ، الموافق لعام ١٣٢٩ هـ .ق. حضر مجلس بحث الامام الخميني في يومي الخميس والجمعة حول مواضيع الفلسفة والعرفان . وهنا عثر ـ كما يقول ـ بضالته المنشودة في شخصية عظيمة .

قال الأستاذ وهو يشرح مدى شوقه لمباحث الفلسفة الإلهية :

(أما درس الأخلاق الذي كنت أحضره لدى الشخصية المحبوبة عندي يومي الخميس والجمعة فكان في الواقع درساً في المعارف الإلهية ومنهجاً للسير والسلوك العرفاني لا الأخلاق

بمفهومه الجامد العلمي ، فكنت اتمتع به غاية التمتع ولستُ مبالغاً إذا قلت ان هذا الدرس كان يطربني بحيث لم يزل تأثيره العميق في روحي إلى يومي الاثنين والثلاثاء من الأسبوع التالي .

وكان لهذا الدرس والدروس التالية التي تلقيتها من ذلك الأستاذ الالهي طيلة اثني عشر عاماً الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيتي الفكرية والنفسية . واني لأجد نفسي دائماً مديناً له بذلك . حقاً انه كان[1] صنيعة الروح القدسية الالهية) .

وكان الاستاذ المُطهّري يستفيد الى جانب دراسته للفلسفة والعرفان خلال ثمانية اعوام من سنة ١٣٢٣ الموافق لعام ١٣٦٩ هـ . ق. إلى سنة ١٣٣١ هجرية شمسية الموافق لعام ١٣٧٣ هـ . ق. من محضر بحث آية الله البروجردي رحمهُ الله . وكان زميله في الحجرة الفقيه الكبير آية الله المنتظري . فقد استحكمت بينهما اواصر الود والصداقة منذ بدء تعارفهما واستمرت تتزايد بسبب الأسفار واللقاءات والمكاتبات حتى حالت بينهما شهادة الأستاذ .

وقد التقى الأستاذ المُطهّري في صيف عام ١٣٢٠ هجريّة شمسية الموافق لعام ١٣٦٢ هـ . ق. بالمرحوم الحاج ميرزا على الشيرازي الاصفهاني وتعرّف عليه في اصفهان بواسطة زميله

---

(١) يشير الأستاذ هنا بوجه لطيف إلى استاذه ، وأنّه هو الامام الخميني ، وذلك لانّ كتابه هذا ألفه في العهد البهلوي الأسود .

الجليل آية الله المنتظري ، وكان هذا اللقاء والمعارفة سبباً لتعرّف الأستاذ على معارف نهج البلاغة الأمر الذي كان لديه ثميناً غالياً جداً .

وكان الأستاذ إلى جانب حضوره مجالس بحث الامام الخميني وآية الله البروجردي والعلامة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي مشتغلاً بالتدريس وكان يُعدّ من المدرّسين المشاهير في الحوزة .

واشترك الأستاذ في سنة ١٣٢٩ الموافق لعام ١٣٧١ هـ .ق في محضر بحث المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي وقرأ لديه فلسفة ابن سينا . وعقد استاذه له مجلس درس خاص للتحقيق عن الفلسفة المادية فكانت أبحاثه حجر الأساس لتأليف كتاب (أصول فلسفة وروش رئاليسم) الذي كان له الدور المصيري في هذه السنوات العشرين في تفنيد أسس الفلسفة المادية . ويُعد هذا الكتاب من أعمق وأدق آثار الأستاذ المُطهّري .

وفي سنين (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) اي في سنين (١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ هـ .ق) حيث اجتاحت جميع أرجاء إيران موجة النضال من أجل الحرية تشكلت في قم ايضاً حركات ومنظمات منها حركة (فدائيان إسلام) التي كانت تمارس الكفاح المُسلح وكان للأستاذ المُطهّري دور في هذه النشاطات

فكان مرتبطا بجميع تلك الجمعيات التي كانت تدعو إلى حركة ثورية لاصلاح المجتمع بما فيها منظمة (فدائيان اسلام) وكان الأستاذ بصورة سريَّة يشاركهم في الفكر ويرشدهم إلى مصالحهم .

وهاجر الأستاذ المُطهّري في سنة ١٣٣١ هـ .ش. الموافق لعام ١٣٧٣ هـ .ق . من قم إلى طهران وفي تلك السنة تزوج كريمة أحد مشاهير العلماء في خراسان . ومنذ بدء هجرته إلى طهران اي في نفس السنة عقد حوزة تدريس في مدرسة (مروي) واشتغل بتدريس الكتب الفلسفية المختلفة كشرح المنظومة والشفاء لابن سينا و(دانشنامة علائي) . وفي سنة ١٣٣٢ الموافق لعام ١٣٧٤ هـ .ق . نشر أول مقالة له في مجلة (حكمت) التي كانت تصدر في قم . وفي سنة ١٣٣٤ هـ .ش . الموافق لعام ١٣٧٦ هـ .ق أصدر أول جزء من كتاب (اصول فلسفة وروش رئاليسم) الذي كان أصله للاستاذ المرحوم العلامة الطباطبائي وتوضيحه وتعاليقه القيمة المفصلة للأستاذ المطهري . وفي هذه السنة بالذات أي سنة ١٣٣٤ الموافق لعام ١٣٧٦ هـ .ق. أرسلت اليه جامعة طهران دعوة ليقوم بالتدريس في كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية ، فأجاب الدعوة وقام بتدريس الفلسفة الإسلامية وغيرها من العلوم الاسلامية واستمر في تدريسه وابحاثه وتحقيقاته هناك إلى سنة ١٣٥٦ هـ .ش . الموافق لعام ١٣٩٨ هـ .ق .

توسع النشاط السياسي للاستاذ المطهّري في الحركة الثورية الاسلامية التي قادها الامام الخميني في ١٥ خرداد سنة ١٣٤٢ هـ .ش . وكان لرجال الدين في هذه الحركة دور خاص ولذلك القت السلطات القبض على عدة من رجال الدين والخطباء المشاهير في طهران واودعتهم السجون . ومن هؤلاء الأستاذ المُطهّري الذي ألقي القبض عليه بسبب نشاطه القوي ، في منتصف ليلة ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ .ش. وبقي في السجن ثلاثة واربعين يوماً . وأطلق سراحه بعد الضغط المتواصل من الجماهير وهجرة علماء البلاد إلى طهران .

وفي هذه المدة حيث حالت السلطات بين الجماهير وبين امامهم كانت المسؤولية الكبرى ملقاة على عواتق شخصيات كالأستاذ المُطهّري . وبعد إبعاد الإمام الخميني في آبان ١٣٤٣ . هـ .ش. الموافق لعام ١٣٨٥ هـ .ق. تشكلت (جمعية رجال الدين المناضلين) أو (جامعة روحانيت مبارز) وكان الاستاذ الشهيد من اعضائها النشطين وكان أيضاً ممثلاً للامام في الحوزة العلمية في طهران وتردّدت بينهما المراسلات .

وفي سنة ١٣٥٧ هـ .ش. الموافق لعام ١٩٧٩م حيث ازداد لهيب الثورة ؛ اشتدّ نشاط الاستاذ في مجال السياسة فكان أحد أركان جمعية رجال الدين في طهران والرابط بينهم وبين الامام الخميني . ولم يصدُر بيان سياسي عن جمعية رجال الدين

ولم يُتخذ قرار هامّ من قبلهم حول المسيرات والمظاهرات ونحوها إلّا بعد موافقة الأستاذ عليه . وبعد ان هاجر الامام إلى باريس سافر الأستاذ والتقى بالامام وتحدث معه حول مختلف مسائل الثورة وتلقى منه آراءه القيّمة ونظراته الصائبة . وهنا اوعز الامام اليه بمسؤولية تشكيل مجلس قيادة الثورة وقام الأستاذ المُطهّري بهذا الواجب بخير قيام حتى رجع الامام إلى طهران . وكان بعد ذلك وبعد انتصار الثورة إلى جانب الامام يتعاون معه في شتى المجالات .

حتى وصل إلى أمنيته المنشودة في ليلة ١١ أرديبهشت ١٣٥٧ الموافق ليوم ٤ جمادي الثاني / ١٣٩٩ هـ .ق. حوالي الساعة العاشرة والنصف فكأنه ترنّم بقول علي عليه السلام : (فزتُ وربّ الكعبة) .

هذا وقد خلّف الأستاذ في عمره القصير آثاراً جليلة .

واليك فيما يلي اسماء المنشور منها :

١ ـ اسباب التمايل نحو المادية . وله اسم آخر الدوافع نحو المادية .

٢ ـ المادية في ايران . طبع منضمّاً إلى الكتاب السابق وله إسم آخر هو (المقال الذي سطّر بالدم) .

٣ ـ الامدادات الغيبية في حياة البشر .

٤ ـ لن تغرب شمس هذا الدين . طبع منضماً إلى الكتاب السابق .

٥ ـ الرشد الاسلامي . طبع منضماً إلى الكتاب السابق .

٦ ـ الادارة والقيادة في الاسلام .

٧ ـ نظام حقوق المرأة في الاسلام .

٨ ـ مسألة الحجاب .

٩ ـ السلوك الجنسي في الاسلام والغرب .

١٠ ـ الخدمات المتبادلة بين الاسلام وايران ج١ .

١١ ـ الخدمات المتبادلة بين الاسلام وايران ج[٢] وقد أضيف اليه في الطبعة الثانية .

١٢ ـ العدل الالهي .

١٣ ـ مرور على نهج البلاغة .

١٤ ـ الانسان والمصير .

١٥ ـ جذب الامام علي (ع) ودفعه .

١٦ ـ ثورة الامام المهدي (ع) من وجهة نظر الفلسفة والتأريخ .

١٧ ـ الولاء والولاية طبع منضماً إلى كتاب الخلافة والولاية الطبعة الأولى .

١٨ ـ ختم النبوة طبع منضماً إلى كتاب خاتم الانبياء المجلد الأول .

١٩ ـ النبي الأمّي (ص) طبع منضماً إلى كتاب خاتم الانبياء المجلد الثاني .

٢٠ ـ الحركات الاسلامية في القرن الرابع عشر الهجري .

٢١ ـ التكامل الاجتماعي في الاسلام .

٢٢ ـ إحراق الكتب في إيران ومصر . (مقال من كتاب الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران) .

٢٣ ـ الانسان والايمان (مقدمة على التفسير الإسلامي للكون ج[١]) .

٢٤ ـ تفسير الكون (مقدمة على التفسير الإسلامي للكون ج[٢]) .

٢٥ ـ الوحي والنبوة (مقدمة على التفسير الإسلامي للكون ج[٣]) .

٢٦ ـ قصص أهل الحق ـ الجزء الأول .

٢٧ ـ قصص أهل الحق ـ الجزء الثاني .

٢٨ ـ مجموعة من المقالات .

٢٩ ـ عشرون مقالة . (مجموعة من خطبه المذاعة) .

٣٠ ـ عشرة مقالات . (قسم من مقالاته في كتاب : مقال الشهرو . . .)

٣١ ـ التحصيل : (تصحيح وتعليق على كتاب بهمنيار) .

٣٢ ـ اصول الفلسفة ج[١] (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي) .

٣٣ ـ اصول الفلسفة ج[٢] (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي) .

٣٤ ـ اصول الفلسفة ج[٣] (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي) .

٣٥ ـ اصول الفلسفة ج[٤] (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي) .

٣٦ ـ المجتمع والتأريخ .

٣٧ ـ الحياة الخالدة أو الحياة الأخرى .

وله كتب غير منشورة ومقالات عديدة تركنا ذكرها للاختصار .

بسم الله الرحمن الرحيم

يشتمل هذا الكتاب على مجموعة من المحاضرات التي القاها المفكر الاسلامي الكبير الشهيد المطهّري في مناسبات مختلفة .

مقـــالات إســـلامية

١ ـ الدين شمس لن تغيب
٢ ـ المدد الغيبي في حياة الانسان
٣ ـ القيادة والادارة في الإسلام
٤ ـ الرشد الإسلامي

الدين شمسٌ لن تغيب

هل للدين نهاية ؟

إنّ عالمنا عالم التغير والتحول ، فلا يبقى شيء ثابتاً ؛ بل أنّه سيتحول ويشيخ ، وبعد ذلك يموت ، وينطفىء ، وينقضي عمره ؛ فهل الدين كذلك ؟

وهل للدين مرحلة زمنية معينة ، إذا مرّت ، وانقضت فسوف ينقضي عمر الدين أيضاً ، أم ليس الأمر كذلك ، بل هو دائم باقٍ بين الناس ، وإذا حدث ، أنْ ظهرت حركة معادية للدين تحاربه ، وتحاول القضاء عليه ، فالدين رغم ذلك لا يموت ، ولا ينطفىء ؛ بل انه سيبقى نابضاً ، وظاهراً ، ويثبت وجوده ، بأشكالٍ وصورٍ أخرى بعد فترة وجيزة ؟

يقول ويل ديوارانت ـ وهو لا يؤمن بأيّ دين ـ في كتابه (دروس التاريخ) في بحثه حول التاريخ والدين (للدين مئة روح ، كلُّ شيء إذا قُضي عليه ، في المرة الأولى ، فإنه سوف

يموت وإلى الأبد ، إلاّ الدين ، فإنّه لو قضي عليه مئة مرّة ، فإنّه رغم ذلـك ، سيظهر ، وتنبعث فيه الحياة بعد ذلك) .

ستكون دراستنا في حدود القوانين والنواميس الطبيعية ؛ ما هي الأشياء ، التي تبقى والأشياء التي تفنى وتموت ؟ ولا يتعرّض حديثنا للأمور الخارجة عن مدار الظواهر الاجتماعية ، بل سيتحدّد في هذا المجال .

مقياس الخلود

إنّ الظواهر الاجتماعية التي تحتفظ بوجودها خلال عمرها ، لا بد أنْ تكون متلائمة مع الرغبات والحاجات البشرية ؛ أي أنّها : امّا أن تكون بنفسها حاجات بشرية ، أو أنّها وسائل لاشباع تلك الحاجات الانسانية ؛ بمعنى : أنّ البشر في أعماق فطرتهم يبحثون عنها ، ويرغبون فيها ، أو أنّها ليست كذلـك فلا يرغب بها الانسان في عمق فطرته وغريزته ، ولا تستهدفها الميول البشرية ، ولكنها وسائل لاشباع حاجاته الفطريّة الأوليّة .

وحاجات البشر على قسمين : حاجات طبيعية ؛ وحاجات غير طبيعية ، أي (العادات) .

أمّا الحاجات الطبيعية ؛ فانها تعني تلك الأمور التي يحتاجها الانسان بما انه إنسان ، ولم يكتشف سرّها حتى الآن ،

كحب المعرفة والاستطلاع ، وحبّ الشهرة والجمال ، والرغّبة في الأسرة والنسل ، فرغم أنّه سوف يصيبه التعب والكلل في سبيلها ولكن رغم ذلك يرغب فيها ، ويسعى في إشباعها وارضائها .

وأمّا لماذا يرغب في المعرفة والجمال ، وما هو واقع هذه الرغبات ، ولماذا يلتذّ بها ؟ هذه أسئلة ، تبحث عن الجواب ، وسواء تمكنّا من الجواب عليها أم لا ؛ فإنّ هذه الرغبات والحاجات موجودة فعلاً في الطبيعة الانسانية .

وأمّا الحاجات غير الطبيعية ، أي العادات ، التي يعتاد عليها اكثر الناس ، ولكنّهم يتمكّنون من التخلص منها ؛ أو استبدالها ، كالادمان على شرب السجاير أو الشاي ، أو الخمر ، أو الهيروئين وغيرها ، والتي تصبح حاجات يحتاج اليها الانسان ، ويرغب فيها بشدّة كما يطالب بالحاجات الطبيعية ، وتصبح بالتدريج طبيعة ثانوية له ، ولكن رغم ذلك ، فانه يتمكن من هجرها والتخلّص منها أو تربية الجيل القادم ، وتنشئته نشأةً لا يفكر معها بهذه الأشياء أبداً .

وأما الرغبات والدوافع الفطرية الطبيعية ، فليست كذلك ، إذْ لا يتمكن الانسان من تركها ، ولا نستطيع ان نربّي الجيل القادم تربيةً يتناسى معها هذه الرغبات .

ومثاله الواضح ، يظهر في تطبيقات الشيوعية ، فالحكم

الشيوعي ؛ سعى لتحقيق فكرتين : إحداهما الاشتراكية ، والثانية ابادة النظام العائلي الاختصاصي ؛ ولكن باءت محاولاته بالفشل ، فانها لا تقبل التطبيق ، إذ الدافع لتشكيل الأسرة دافع طبيعي فطري ، فإنّ كُل فردٍ في أعماقه يميل للأسرة ، وإلى زوجةٍ تختصّ به ، حتى يكون الولد المتولّد منهما ، مختصّاً به ، وانما يحب ولده ذلك الحب الشديد ، لأن ولده امتداد لوجوده ، وهذا الحب امر فطري ، وحين لا يكون له ولد ، يشعر بأنّ وجوده سيزول ، وينقطع بعد حياته .

وكذلك الانسان فطرياً ، يمتلك الرغبة في معرفة تاريخه وماضيه ، ومن هو أبوه وأمه ، ولا يمكن أنْ يعيش الانسانُ سعيداً ، وسوياً ، وهو لا يعرف أباه أو أُمه ، وكيف يمتدّ وجوده بعد حياته ، وأي الأولاد ولده ؟ ولذلك لم يستجب البشر لهذه الفكرة ، فماتت ، وقُذف بها في سلّة المهملات ، وقد اقترح افلاطون قبل (٢٦٠٠) عاماً ، أمثال هذه الفكرة[1] ، ولكنه بنفسه قد ندم على ذلك ، بعد أن لمس آثارها السيئة ، وقد ظهرت الدعوة لالغاء النظام العائلي ، في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، ولكن رفضها البشر ، لماذا ؟ لأنّها خلاف الطبيعة البشرية .

---

(١) ولكن في خصوص طبقة الحُكام والفلاسفة والفلاسفة الحكام ، وقد اعتبرها الوسيلة الوحيدة للحدّ من تصرفاتهم الشخصية السيئة .

وللحكماء قاعدة فلسفية وهي (أنّ القسر لا يدوم) ؛ ويعني ذلك : انّ التيار غير الطبيعي ، لا يبقى ولا يدوم ، ويقابل ذلـك التيار الطبيعي ، فإنّه يدوم ، وله الاستعداد على البقاء والثبات ، وأمّا غير الطبيعي ، فلا يمتلك القابلية على البقاء .

وإذا أردنا أنْ نثبت بأنّ الدين يبقى ويدوم ، فلا بد أن يكون أحد هذين الأمرين : اما أنْ يكون بنفسه حاجة طبيعية ، أو يكون وسيلة لاشباع الحاجة الطبيعية ، ولكن يشترط ان يكون هو الوسيلة الوحيدة لاشباع هذه الحاجة أو الحاجات الفطرية الطبيعية ، ولا توجد وسيلة أخرى أفضل منها ، فانه لو وجدت وسيلة أخرى غير الدين ، تشبع تلك الحاجة ، بصورة أفضل ، واكثر فائدة وتأثيراً ، فحينئذٍ سوف تزول الحاجة للدين ، ويهجر ليتمسك بتلك الوسيلة الأخرى ، وبالخصوص إذا كانت الوسيلة الأخرى أفضل من الدين .

ونلاحظ مثل هذه الظاهرة في العصر الحديث كثيراً ؛ فإنّ السلع ، تتغير بين يومٍ وآخر مثلاً ، وتُهجر السلعة القديمة ، ليندفع الناس لشراء الجديدة ، وان كانت تُشبع نفس الحاجة التي تشبعها القديمة .

مثلاً احتياج الناس للبس الجورب ، ففي البداية كانوا يلبسون الجورب المحاك ، ولكن ، ظهر اليوم جورب آخر ،

يشبع هذه الرغبة ، وربما كان أفضل وأجمل من السابق ، لذلك ، هجر النوع السابق واستُخدم الجديد .

وكذلك ، حينما اكتشفت الكهرباء ، ترك الانسان استعمال المصباح الزيتي ؛ فانّ استخدام المصباح ، كان لأجل الاستفادة من ضيائه ، وهذه الحاجة تشبعها الكهرباء بصورةٍ أفضل وأيسر .

والدين يمتلك كلتا الميزتين ، فأنّه بنفسه حاجة فطرية وشعورية للبشر ، وكذلك هو الوسيلة الوحيدة لاشباع الحاجات الفطرية للبشر ، بحيث لا يمكن لغيره ان يحلّ محلّه ، وبعد الدراسة التالية ، سيتّضح لنا ، بأنّه يستحيل على أي شيء أنْ يقوم مقام الدين في إرضاء هذه الرغبات الفطرية .

فطرية الدين

القرآن الكريم يصرّح بأنّ الله قد أودع الدين في قرارة الانسان وأعماقه ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها . . .** ﴾[1] ،

وحين يتحدّث الإمام علي (ع) عن الأنبياء ؛ يذكر بأنّهم قد بُعثوا لأجل ان يُذكروا الناس بذلك العهد ، الذي عقدته فطرتهم ،ولأجل مطالبتهم بالوفاء بذلك العهد ، الذي لم

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

يُكتب على ورقة - وهو ينطق به لسان . وقد كُتب على صفحة القلب وفي عمق الفطرة الانسانية . بقلم خفية - على صفحة الضمير . وفي أعمق الشعور الباطن .

وهو أذكر ذلك للاستشهاد والاستدلال : بل . ستهدف من ذلك أن أثبت . أن الاسلام كان أول من اكتشف أن الدين حاجة فطرية . وهو يعرف البشر هذه الفكرة سابقة . ولكن ظهر في العصر الحديث من ينادي به ويدعو اليه . وقد ظهرت الكثير من النظريات والآراء حول هذه الفكرة في القرن السابع عشر . والقرن الثامن عشر . والقرن التاسع عشر الميلادي . والقرآن الكريم يصرّح : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ .

كيف وجد الدين ؟

هناك فرضيات كثيرة حول نشأة الدين . ونستعرض بعضها اجمالا :

١ - الدين وليد الخوف . الخوف الانسان من الطبيعة . ومن الموت . الرعد . والبرق . والعاصفة . والبحر . والصحراء . والمجاعة . وغيرها من مظاهر الطبيعة .

ونتيجة هذا الخوف أن اخترع الدين في الذهن البشري . وخلقه الخيال الجامح . فكان أول الأمر الآلهة هي الخوف . وفي العصر الحديث قد نشأ من البعض . والذين يأخذ بهذه النظرية الحديثة .

٢ ـ الدين وليد الجهل ؛ فقد اعتقد البعض بأنّ العامل لوجود الدين ، هو جهل البشر ؛ فالانسان بطبعه ، يميل إلى معرفة العلل والقوانين الحاكمة في الكون ، وفي حوادثه ، وربما أنّه لم يعرفها ، نسبها لما وراء الطبيعة .

٣ ـ الرغبة في العدالة والنظام ؛ ذهب البعض الى انّ الدافع نحو الدين وانتماء البشر إليه ، هو الرغبة في العدالة والنظام ، فحين لاحظ الظلم والاضطهاد ، وعدم العدالة في المجتمع والطبيعة ، لذلك ، أوجد الدين وتشبّث به ، لتسكين آلامه النفسية وتهديئها .

وقد ذكر أصحاب هذه الفرضيات الثلاث ، بأنّه مع تقدم العلم وتطوره ، فسوف يزول الدين لوحده ويحتل العلم موقع الدين ؛ لذلك ، دعوا إلى تطوير العلم وتنميته ، لأنه في رأيهم ، ان العالِم يعني غير المتدين .

٤ ـ الفرضية الماركسية : وتعتقد الماركسية ، بأنّ الدين قد وجد ، لأجل أن تحتفظ الطبقة المستثمرة ، بامتيازاتها ، ومكانتها ، وسلطتها بين الشعوب ؛ ففي مرحلة الشيوعية الأولى ، لم يكن هناك وجود للدين ، وقد وجدت ـ لبعض العوامل ـ الملكية الخاصّة ، والطبقية ، ووجدت طبقة حاكمة ، وطبقة محكومة محرومة ، وفي المرحلة الإقطاعية والرأسمالية ، انشأت الطبقة الحاكمة فكرة الدين ، حتى لا تثور الطبقة

المحرومة بوجهها ، فالدين لجامٌ لغضبها ، وافيون لهذه الطبقات المحرومة ، لتبقى سادرة في سُباتها وغيبوبتها .

والملاحظ انّ سائر الفرضيات قد جعلت العلم يأخذ موقع الدين ؛ واما هذه الفرضية ، فلم تلتزم بقيام العلم مقام الدين ؛ فإنّ الماركسية رأتْ ، بأنّ العلم تطور وتقدمّ ، ولكن الدين لا زال باقياً ولم يتعرّض للفناء ، بل لاحظوا بانّ كبار العلماء هم من المتلزمين بالدين ، كباستور وغيره .

لذلـك اعتمدت الماركسية على الطبقية ، فأكّدت بأنه ما دام للطبقات وجود فالدّين لا يزول ، بل سيظل محتفظاً بوجوده ، لوجود هذه الطبقية في الشعوب ، فإنّ الدين وليد الطبقية ؛ فإذا ساد العالم المذهب الإشتراكي ، وزالت الطبقية فإنّ الدين سيزول لوحده .

إنّ الماركسيّين يعتقدون : بأنّ الدين شراك تنصبه الطبقة الحاكمة ، للطبقات الكادحة المحرومة ، فلو تساوى الجميع ، وزالتْ الطبقية فسيزول الدين بنفسه ، لإنه لا حاجة لهذا الشراك آنذاك .

وبايجاز : فإنّهم دعوا إلى تحقيق المساواة التامّة ، بين أفراد المجتمع ، كشرطٍ ضروري للقضاء على الدين .

ولكن هذه الفرضيّة ، كأخواتها ، لم تثبتْ للنقد العلمي ؛

إذ ثبت أن الدين أسبق وجوداً من الملكية ، ففي مرحلة الشيوعية البدائية ، وحين لم يكن للطبقات وجود ، كان الدين موجوداً آنذاك ؛ بالاضافة إلى أن الواقع التاريخي ، لا يتلاءم وهذه الفرضية .

إذْ أثبت التأريخ بأنّ الدين قد ولد ونشأ بين الطبقات المستضعفة والمحكومة ، وقادة الرسالات أمثال موسى وغيره ، كانوا من الطبقة المحرومة والمستضعفة حيث واجه هو وأصحابه المحرومون . الطبقة الحاكمة المتمثّلة بفرعون وأمثاله .

وحين بُعث نبينا (ص) ، أعلن ثورته على الطبقة الحاكمة ، والثّرية ، والمرابين ، وقد عبّر القرآن الكريم عنهم بـ (**الملأ**) أي الأشراف ، أمثال : أبي سفيان ، وأبي جهل ، والوليد بن المغيرة ، فإنّهم كانوا من زعماء مكة وأثريائها ، ومن المخالفين له ؛ وأمّا أتباع النبي (ص) ، فكانوا من الطبقة المحكومة والمضطهدة ؛ أمثال : عمار ، وسلمان ، وابي ذرّ ، وعبد الله بن مسعود ، وأمثالهم .

وحين زار خروشوف إبّان رئاسته ، الجزائر ؛ قال له ابن بلا ـ الذي كان رئيساً للجمهورية آنذاك : بأنّ الاسلام يمكن أنْ يكون عاملاً محركاً في شمال افريقيا ، لمقاومة الاستعمار ، فصدّقه على ذلك .

إذن ، فقد اعترف بالحقيقة ، هؤلاء الذين كانوا

يقولون ، بأنّ الدين افيون الشعوب ؛ وانه قد اصطنعته الطبقة الحاكمة ، لتخدير الفئات المحكومة المضطهدة ، حتى لا تطالب بحقوقها المشروعة ، وتشعل الثورة ضد الحكام المستبدّين ، ولكن بعد ان اطّلع على الاسلام عن قرب اعترفَ بالحقيقة .

ويظهر مما سبق ، ان المخالفين للدين انفسهم ، لم يتّفقوا على رأي واحد .

٥ ـ فرضيّة فرويد : وقد فسّر فرويد كل الظواهر الاجتماعية وفق الغريزة الجنسية ، ومن جملتها الدين ، فإنّه حين تقف الظروف الاجتماعية بوجه اطلاق العنان للغريزة الجنسية ، تُصاب هذه الغريزة بالكبت والحرمان ، ولكنها لا تزول ، بل ، انّها تستقر في اللاشعور ، حيث تقف بوجهها القيود الاجتماعية ، ولكن هذا الكبت والحرمان يحقّق نفسه في الخارج ، بصورة امراض عصبية ومظاهر مختلفة ومنها الدين .

إذَنْ ، ففي رأيه ان الدافع إلى وجود الدين ، هو الحرمان الجنسي ؛ فهو يعتقد بأنّ الجذور الأولى لظهور الاخلاق والعلم ، وكل شيء هي جذور جنسية ، ويعتقد بأنّه حين ترتفع الحواجز والسدود ، عن طريق الغريزة الجنسية ، وتُمنح لها الحرية ولا تبقى مكبوتة ، فسوف يزول الدين لوحده .

ولكن فرويد بنفسه قد ندم على رأيه هذا ، بعد ذلـك ولم يتقبل تلاميذه منه هذا الرأي ، ومن هنا تتأكّد فطرية الدين .

الآراء حول فطرية الدين
وقد ظهرت دراسات عديدة لاثبات فطرية الدين

١ ـ رأي يونج : ذكر (يونج) عالم النفس الشهير ، وتلميذ فرويد ، بأنّه وإنْ صحّ ما ذكره فرويد ، بأنّ الدين من الصور التي تتدفّق من اللاشعور الانساني ، ولكن ، القول بأنّ محتويات اللاشعور جميعها منحصرة بالميول الجنسية ، التي هربت من شعور الانسان إلى لا شعوره ، هذا القول غير صحيح ، فالانسان يمتلك نفساً باطنةً ، ووجوداً لا شعورياً فطرياً ، طبيعياً ، ولا تنحصر محتويات هذا الوجود بما يقدّم إليه من الشعور الظاهر ، كما توهّم فرويد ، ففي الواقع ، قد نجح فرويد حين اكتشف اللاشعور ، ولكنه فشل في اعتقاده بأن محتويات اللاشعور جميعها مؤلفة مما يطرده الشعور ، ويعتقد يونج بأنّ الدين من تلك الأمور المتواجدة في اللاشعور بصورةٍ فطريّةٍ وطبيعية .

٢ ـ (وليم جيمس) : ـ وهو فيلسوف وعالم أمريكي كبير ؛ يقول : بأنّه وإنْ صحّ القول بأنّ المنشأ للكثير من الرغبات الباطنية ، هي الأمور الطبيعية المادية ، ولكن المنشأ للكثير منها أيضاً ، عالم آخر وراء هذا العالم المادي ، والدليل على ذلك ، عدم توافق الكثير من أعمال البشر ، مع الحسابات المادّية ، فإنّنا ، نلاحظ في كل حالة ، وعمل ديني دائماً طابعاً من الوفاء

والاخلاص والوجد واللطف والمحبة ، والايثار ، فللحالات النفسيّة الدينية ، بعض المشخّصات والخصائص التي لا تتلائم مع الحالات النفسية البشرية كلها ، ويقول : بأنّ الغرائز المادية هي التي تربطنا بهذا العالم المادي ، وكذلك الغرائز المعنوية تربطنا بذلك العالم الآخر، ولهذا الرجل آراء غريبة في هذا المجال[1] .

٣ ـ الكسيس كارليل : حيث يذكر في كتابه (الدعاء) : ـ بأنّ الدعاء أسمى حالة دينية مقدسة للانسان ، حيث تُحلّق فيها روح الانسان لله ؛ ويذكر أيضاً : توجد في الوجدان الإنساني شعلة تُعرِّف الانسان على خطاياه وانحرافاته أحياناً ، وان هذه الشعلة هي التي تصد الإنسان عن الوقوع في الخطيئة والإنحراف ، ويقول أيضاً : بأنّ الإنسان أحياناً ، وفي بعض حالاته الروحية ، يشعر بجلال المغفرة وعظمتها .

٤ ـ انشتاين يقول : بأنّ المشاعر التي أدّت إلى نشأة الدين مختلفة ، والدوافع التي تدفع شتّى الفئات إلى الالتزام بالدين مختلفة أيضاً .

---

(١) فيقول : بأنّ الفلسفات الميتافيزيقية هي في واقعها ، مترجمة عن لغةٍ أخرى ؛ بمعنى أنّ الانسان يتوهم بأنه قد توصل لمسائل ما وراء الطبيعة بفكره وعقله ، ولكن ليس كذلك ، بل انّها في الواقع نداء قلبه توصّل إليه ، القلب بلغة اخرى ، وبعد ذلك ، خلع عليها ـ بلغة العقل ـ ثوباً فلسفياً .
وغير ذلك من الآراء الأخرى في هذا المجال .

ويقول : (بأنّ الخوف في الانسان البدائي ، هو الذي يشكّل الأرضية لنشأة الدين عنده ، الخوف من الموت ، الخوف من الجوع ، من الحيوانات الكاسرة ، من المرض ، وتخلق له ذهنيته المحدودة الضئيلة ، وغير المتطوّرة ، بعض الموجودات المتشابهة ، وبعد ذلك يصنعها بيديه ، وفكره ؛ وبعد أن يخلقها بنفسه ، يفكّر في كيفية التخلّص ، من غضبها وسخطها ، وكيف يجلب رضاها ، وهذا الدين لا بُـدَّ أن نسميه بدين الخوف ، والإله الذي يدعو هذا الدين لعبادته ، ليس إلهاً حقيقياً ، إنّ هذا الدين يؤدي إلى عبادة الوثن .

ويقول أيضاً : ـ والصفة الاجتماعية لدى البشر، هي أيضاً بدورها من دوافع الدين ؛ فإنّ الانسان يرى بأن الموت ، يختطف أباه وأُمّه وأقرباءه والزعماء والكبار ، يأخذهم الواحد تلو الآخر ؛ ويشعر بالفراغ ، حيث تخلو دنياه منهم ؛ إذن ، فالأمل بوجود الهادي والموجه ، الامل بأنْ يكون محباً أو محبوباً ، وأنْ يعتمد على الغير ، وأنْ يتخلّص من اليأس ، كلُّها تشكّل فيه الأرضية لتقبّل الإيمان بالله) .

ويعتقد انشتاين : بأنّ الإله الذي يندفع اليه هذا الشعور ، هو إله غير حقيقي أيضاً ، فانّ الصفات المفروضة له صفات بشرية ، والكتب المقدسة للمسيحية واليهودية ، تعترف بمثل هذا الاله ، ولكن هذا الدين أكثر تطوراً من دين الخوف بدرجة واحدة .

وبعد ذلك يقول : (ولكن يجب أنْ لا ننسى ، بأنّ هناك بعض الافراد أو الجماعات ، رغم قلتهم ، قد توصّلوا إلى التعرف على المعنى الواقعي الحقيقي لوجود الله ، وراء كل هذه الأوهام ، والخيالات ، يشتمل هذا الاله على الخصائص والمشخّصات المتعالية ، ولا يُقاس بالعقيدة العامّة تلك) ؛ ويقصد بذلك ، ان المجتمع الذي تتعدد الأديان فيه ، لا يعني ذلك ، ان عقائدهم في الإله واحدة في المستوى والسطحية والبدائية ؛ فإنّ بعض الافراد ، وفي مثل هذه المجتمعات ، يؤمنون بالله تتوافر فيه كل خصائص الإله ، الذي هو أهلٌ للقداسة والعظمة .

ويقول بعد ذلك : (وهناك دين وعقيدة ثالثة ، متواجدة في الأذهان كلها ، وبدون استثناء ، وان كنت لا تعثر على تصور واحد لها ، وعلى صورتها الخاصة عند الجميع ، وأنا اطلق على هذه العقيدة : (الإحساس الديني للوجود) . ويصعب عليّ توضيح هـذا الاحساس لمـن يفتقده ، وبالخصوص ان البحث هنا ليس حول ذلك الإله ، الذي يظهر بصورٍ ومظاهر مختلفة ، انّ هذه العقيدة تُعرِّف الانسان على ضآلة الآمال والاهداف البشرية ، وعظمة ما وراء الموجودات الطبيعية ، يشعر بأنّ وجوده سجن ، ويطمح في التخلص من سجن البدن ، ويحلّق عالياً ، ليعثر على الوجود كله مرة واحدة ، وبحقيقته الواحدة) .

وعلى ضوء هذا الرأي ؛ فإنّ الناس جميعاً ، وبالخصوص اولئك الأفراد الذين بلغوا مرحلةً من الرشد والتطور ، يمتلكون هذا الاحساس وهو التخلص من وجودهم المحدود ، والتوصل إلى قلب الوجود ، هناك دافع ورغبة في الانسان ، لا تستقرّ ولا تهدأ، ولا تطمئنّ، إلاّ إذا اتّصلت بمنبع الوجود وهو الله، وهذه الحقيقة المقدسة هي التي يعبّر عنها القرآن الكريم : **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكرِ الله ألا بذكرِ الله تطمئن القلوب﴾**[1] .

ويظهر من ذلـك أنّ الفرضيات التي يذكرها المنكرون لفطرية الدين ، حول نشأته مختلفة وليس لهم رأي موحدّ في هذا المجال .

ومما يُثير العجب أنّ البعض منا ، يؤمن بمثلِ هذه الفرضيات ، كما يؤمن بمعادلةٍ كيميائية ، أو نظرية فيزيائية وطبيعية .

رغم الاختلاف الكبير في هذه الآراء ، ورغم وجود الكثير من المفكرين المعاصرين ، الذي قد اعترفوا بفطرية الدين ، وحاولوا إثبات ذلك بمختلف المحاولات ، ومن هؤلاء انشتاين ، ولعلّه اعظم علماء العصر الحديث باعتراف الغرب

---

(١) سورة الرعد ، آية ٢٨ .

نفسه ، فكيف يكون الدين وليد الجهل ؟

كان هذا الحديث كله حول الدين كحاجةٍ فطريةٍ .

الدين الوسيلة الوحيدة لاشباع الحاجات

والآن يدور حديثنا حول كون الدين ، هو الوسيلة الوحيدة لاشباع الحاجات والرغبات البشرية ، ولا يمكن لغيره أنْ يحلّ محلّه .

فقد اعتقد البعض قبل زمن ليس بالبعيد ، بأنّه بتقدم الانسان وتطوره ، ستنعدم الحاجة للدين ، لأنّ العلم سيُشبع حاجات البشر ورغباته .

ولكنّ اليوم وبعد التطور الكبير للعلم ، قد لمسوا احتياجهم الشديد للدين في سعادة الفرد والمجتمع[1] .

وهذه القدرة على التفكير والتصوّر لدى الانسان ، تخلق فيه مشاعر الأبدية والخلود ؛ التفكير في حياةٍ أخرى ، غير الحياة الدنيوية المؤقتة ، ومثل هذه الميول الواسعة الابدية لا تتلائم وقواه البدنية المحدودة الفانية ، أي انّ الانسان يشعر من ناحية

---

(١) فقد اتضح للجميع ، ان العلم لا يسد حاجة البشرية للدين ، كشرط ضروري للحياة السوية السليمة . فالانسان يحتاج للدين في حياته الفردية والاجتماعية فإنّ الانسان حين تخطر الابدية في ذهنه ، سيرتبط بعالم آخر .

بوجود هذه الميول والتصورات الوسيعة الكبيرة في نفسه ، ومن ناحيةٍ أخرى يرى جسمه وبدنه محدوداً زائلاً ، فيحسّ بتوتّر واضطراب هائلين .

حيث يلاحظ بفزع ، عدم التعادل والتوازن بين حاجاته ورغباتـه واستعداداته البدنية ، فإنّ الاحساس بالحرمان من الخلود يسحقه ، يمزقه ، يغبط الحيوانات التي تعيش تلك الحياة المحدودة ، حيث تتساوى مساحة فكرها مع مساحة استعدادها البدني ، ولا تفكر في البقاء والابدية ، حتى تتأجّج في أعماقها الآمال ، والحاجات الكبيرة ليمزّقها تصور الفناء وعدم تحقيق أحلامها .

فلو كان الانسان سيفنى ، بعد رحلة العمر ، فإنّ هذا التصور سيشعره بعدم التوازن ، بين أفكاره ورغبات روحه ، وبين استعداداته ، فيبرز أمامه هذا السؤال : إذا كان مصيره الفناء ، فإلى أي مدى ستكون هذه التصورات والميول الوسيعة مؤلمة ، وغير مثمرة ؟

وكثيراً ما سعى الانسان ، وأجهد نفسه في البحث عن الخلود والبقاء ، وكل هذه الجهود والأعمال التي يبحث في أحضانها عن البقاء ، وليدة هذا الاحساس وهذا الأمل بالخلود ومنها الاعمال التي يقوم بها البعض ليثبتوا بقاءهم بعد الحياة من خلالها .

ولكنها خيالات وأوهام ، لا تعتمد على أساس منطقي ، فإنّه يتوهم انه باق بتمثاله بصورته بمؤلفاتـه بذكرياته ، كلا ، انه لن يبقى بل سيموت وكثير من الجرائم يقترفها البعض ، لأجل التوّصل لهذا الأمل ، وإلى اثبات بقائه ، ولكنها جهود لا طائل فيها ؛ فأي لذة سيشعر بطعمها ، بعد موته ؟ وما تُجديه لذة الشهرة بعد أن تنطفىء حياته ؟ فإنّ الحي هو الذي يشعر بهذه اللذة .

انّ الوسيلة الوحيدة التي تشبع هذه المشاعر والرغبات ، بصورة تامَّة ومقنعة ، هو الشعور والاعتقاد الديني .

ويذكر فروغي في كتابه رسائل العظماء ورسالة عن فيكتور هيجو ، تؤكد هذا المعنى ، وانّ الانسان حين يعتقد بأنه فانٍ ، وانه لا يوجد بعد هذه الحياة إلاّ العدم المطلق ، فإنّه حينئذٍ سيفقد الاحساس بقيمة الحياة ولذتها .

والشيء الوحيد الذي يبعث فيه الاحساس باللذة ، والنشاط والرؤ ية الوسيعة ، هو الدين ؛ حيث يوفّر فيه الاعتقاد بالبقاء والخلود ، وبوجود حياة أخرى أبدية ، وانّ هذه الحياة مؤقتة ، وانك أيّها الانسان أكبر من الحياة الدنيا .

وحين يسأل تولستوي عن تعريف الايمان ؟ يُجيب : بأنّ الايمان هو الذي يحيا به الانسان ، إنه رصيد الحياة .

ولنقارن هذه الفكرة مع طريقة التفكير لدى بعض

الافراد ، الذين يعتقدون بأنّ الدين قيد ، وانّ اللادينيّة حرية وانطلاق .

انهم يتوهمون بأنّ الحرية تعني : التحرّر من كل قيد ، وعليه فيكون التحرّر من العقل ، والانسانية ، والاخلاق ، والشرف ، وغيرها من القيم ، أيضاً تحرراً وانطلاقاً .

وحين قرأت هذا الحديث عن تولستوي ، خطر في ذهني ما قاله ناصر خسرو مخاطباً ابنه : ـ

(اعرضتُ عن الدنيا ، ووجهتُ وجهي للدين ، لأنّ الدنيا بدون دين ، كالبئر العميقة كالسجن ، انّ للدين في أعماق قلبي ملك عظيم لا يتعرّض للدمار ، والانهيار أبداً) .

الدين رصيد الأخلاق والقانون

الأخلاق والقانون يشكّلان الأساس والقاعدة الرئيسية ، التي يعتمد عليها بناء المجتمع البشري ، وانّ الرصيد الوحيد لهما هو الدين فحسب .

والقول بعدم احتياج الاخلاق ، في تحققها للديـن ، غير صحيح ، فانّها كالعملة الورقية ، لو لم يكن لها رصيد يسندها من الذهب وغيره ، تعتمد عليه ، فإنّها ستفقد قيمتها .

إنّ هذا الرأي حول الأخلاق والقانون ، تماماً ، كلائحة حقوق البشر ، التي اقترحتها فرنسا وأخذت في نشرها ،

والدعاية الواسعة لها ؛ ولكنها كانت أول مَنْ سحق هذه الحقوق ، وضربت بها عرض الجدارِ ، لإنّها لم تعتمد ، في أساسها ، على إيمانٍ نابع من فطرة البشر .

وحين أرادت فرنسا ، ان تمنح حقّ الاستقلال للجزائر ، عارض هذا الاقتراح ، بعض القادة الفرنسيّين ، أمثال جورج بومبيدو، وقد كان آنذاك ، زعيم الاشتراكيين الفرنسيّين ، وضم صوته للمنظمات التي تطالب بإبادة الشعب الجزائري .

أجل ، انّ هؤلاء ، هم الذين وقّعوا على لائحة حقوق البشر .

ان جميع المقدسات والقيم الخلقية ، والقوانين ، التي يحفل بها المجتمع البشري ، أمثال : الحرية والعدالة ، والمساواة، والانسانية ، والشعور بالمسؤولية ، وغيرها ؛ لو لم تعتمد في أساسها على الدين ، فلا يمكن ان يكون لها واقع ، ولا يمكن أنْ نضمن تطبيقها وتحقيقها .

يقول الكسيس كارليل : لقد تقدّمت ، وتطوّرت العقول كثيراً ؛ ولكن مع الأسف ، لم تزل القلوب ضعيفة ؛ والايمان فحسب ، هو الذي يبعث القوة في هذه القلوب ، وانحرافات البشر كلها ناشئة من هذه الحالة ، وهي قوة العقول ، وضعف القلوب ، فماذا فعلت الحضارة والمدنية الحديثة ؟ إنّها تُخرج

يومياً للأسواق الكثير من البضائع والمنتوجات الجيدة[1] .

ليس هناك شيء غير الدين يوجّه البشرية للأهداف المقدسة السامية ، ان الانسانية لا تنفك عن الدين والايمان ؛ واذا لم يوجد دين ، فلا وجود للانسانية .

عوامل الانحراف عن الدين

وهنا يبرز سؤال ، اذا كان الدين فطرياً ، فلماذا يخرج الناس منه ، وينحرفون ؟

والبحث عن العوامل المؤدية للاعراض عن الدين ، بحث طويل ؛ وهذا السؤال ، يطرح بالخصوص على اولئك المعتقدين بفطرية الدين .

وأنقل هنا عن كتاب : (الله يتجلّى في عصر العلم) حديثاً حول هذا المجال ، حيث تعرّض (وولنز اوسكار لند برج) ، في مقالته لعوامل الانحراف ، فذكر عاملين :

يقول : ويرجع فشل بعض العلماء ، في فهمهم وقبولهم لما تدّل عليه المبادىء الأساسية ، التي تقوم عليها الطريقة العلمية

---

(١) ولكن ماذا فعلت للانسان ؟ ما الذي يتمكن من تغيير الانسان وتوجيهه للاهداف المقدسة السامية ؟ ليكون صاحب قلب ، حيث يهتف من أعماق قلبه : ـ

(الدنيا لا تملك قيمةً ما ؛ لا تُثير الاضطراب والقلق في قلبٍ آخر ، حذار من العمل السيء إنّ العاقل لا يفعل ذلك) .

من وجود الله والايمان به ، إلى أسبابٍ عديدة نخصّ اثنين منها بالذكر :

١ ـ يرجع انكار وجود الله في بعض الاحيان ، إلى ما تتبعه بعض الجماعات أو المنظمات الالحادية أو الدولة : من سياسة معينة ترمي إلى شيوع الالحاد ، ومحاربة الايمان بالله ؛ بسبب تعارض هذه العقيدة مع صالح هذه الجماعات أو مبادئها .

٢ ـ وحتى عندما تحرر عقول الناس من الخوف ، فليس من السهل أنْ تتحرّر من التعصب والاهواء ؛ ففي جميع المنظمات الدينية المسيحية ، تُبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إلٰه هو على صورة الانسان ، بدلاً من الاعتقاد بأن الانسان قد خُلق خليفة الله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلـك، وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فان تلك الصور التي تعلموها منذ الصغر ، لا يمكن ان تنسجم مع اسلوبهم في التفكير ، أو مع أي منطق مقبول ؛ وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة ، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي ، نجد هؤلاء المفكرين يتخلّصون من الصراع بنبذ فكرة الله كُلّيةً ؛ وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ، ويظنون انهم قد تخلّصوا من أوهام الدين ، وما يترتب عليها من نتائج نفسية ، لا يحبّون العودة إلى التفكير في هذه الموضوعات؛ بل يقاومون قبول أيّة

فكرة جديدة تتصل بهذه الموضوعات ، وتدور حول وجود الله) .

انّ هذين العاملين كانا سبباً لانحراف الكثيرين عن الدين فإنّ الكثير والمثقفين منهم بالخصوص قد انحرفوا ، لتعرّفهم على المفاهيم الدينية إبّان طفولتهم ، من الأبوين اللذين لا يمتلكان معرفة صحيحة ، حولها ، أو بسبب دعاة الدين الجهلاء ، الذين لا يملكون إلّا هذه التصورات الخاطئة والمشوّهة ، بحيث لا تتلائم مع العقل والعلم والمنطق .

ومن الواضح أنّ الانسان حين ينضج عقلياً ، ويتعرف على المنجزات العلمية ، والمنطقية ، فلا يمكنه أن يتقبل مثل هذه التطورات والمفاهيم المشوهة غير المعقولة وغير المنطقية للمفاهيم الدينية ، ومن هنا يندفعون للانحراف، أو الالحاد ، لأنهم يعتقدون بأنّ الايمان بالله ، يتحدّد بهذه الصور المشوهة ، التي عرفتها اذهانهم ، لذلك ينكرون الله .

ولعلّ هذا هو الدافع ، لانحراف الكثيرين من المثقفين عن الدين ، وبالحقيقة انهم لا يرفضون المفاهيم الحقيقية لله والدين ، بل مفاهيم أخرى .

وان الكثير قد انحرفوا نتيجة للايحاءات الغبيّة المشوهة للامهات ، والآباء والمبلّغين الجهلة ؛ لذلك امتلأت أذهانهم ـ في مجال المسائل الدينية ـ بالكثير من التصورات والمفاهيم الخاطئة ، وهي التي دفعتهم إلى التشكيك في الدين ، بل إلى

الاعراض عنه ، ومن هنا يلزم علينا أنْ نبذل جهوداً كثيرةً من أجل عرض الصورة الصحيحة والحقيقية للأصول والمسائل الدينية .

وقد أحسستُ شخصياً بهذه الحقيقة المرة ، لذلك بذلتُ مختلف الجهود والنشاطات ، وبشتّى الوسائل ، من أجل توضيح المفاهيم والتصورات الاسلامية الاصيلة ، بصورتها الحقيقية ، غير المشوهة والمنحرفة ، وقد دلّت تجاربي في هذا المجال ، على أنّ هذا العمل كان ناجحاً ومثمراً جدّاً .

ولكن لا تنحصر عوامل الانحراف في هذين العاملين ، فهناك عوامل اخرى نذكر بعضها : ـ

١ ـ من العوامل التي تؤدي لانحراف الناس وتنفرهم من الدين والله ، وكل القِيم المعنوية ، هو تلّوث المحيط ، بالأوحال الشيطانية ، وغرق الافراد ، وغيبوبتهم في عبادة اللّذة ، والشهوة ، والهوىٰ ، حيث تحفل تلك البيئة الاجتماعية ، بكل ما يُشعل لهيب الشهوة ، والغرائز الحيوانية ، ومن الواضح انّ الغيبوبة في الشهوات الحيوانية المنحطة ، تتنافى وكل المشاعر السامية ، سواء كانت دينية أو اخلاقية أو علمية أو فنية أو غيرها ، فانها ، كلها ستموت وتنطفىء نتيجة الحياة الحيوانية هذه .

فإنّ عبدَ الشهوة ، والغارق بأوحالها ، كما لا يحسّ

بالمشاعر الدينية الرفيعة ، كذلك يفقد الاحساس بالعزّة والشرف ، والسيادة ، والرجولة ، والشجاعة ، والتضحية ، ويغدو اسيراً لشهواته المادية الحسية ، ويضعف ويضمر إحساسه بالأمور المعنوية جميعها ، سواء الدينية منها أو الاخلاقية أو العلمية أو الفنية وغيرها .

لذلك لو أرادت أمة ، أنْ تقتل من الأمة الأخرى ، روح الدين ، والاخلاق والشجاعة ، والرجولة ، عليها أنْ تغرقها بوسائل اللهو ، وموائد الشهوة واللذة ، وتجارب التاريخ تشهد على هذه الحقيقة المرّة .

وما حدث في الاندلس الاسلامي ، حين خرج من يد المسلمين ، هو نموذج لذلك ، فقد وفّر اعداء الاسلام لهم كل وسائل المتعة المحرمة ، ومُثيراتها ، فقد أوقفوا الحقول النضرة لصنع الخمرة ، وغمروها بالحانات والفتيات المنحرفات ، اللواتي أخذن يخطرن بكل خلاعة في شوارعها ، فماتت روح الدين والشرف ، ونتيجةً لذلك تمكّن أعداء الدين من السيطرة على الاندلس ، بكل سهولة ، ونجحوا في ابادة المسلمين .

وقد استخدم الاستعمار الغربي اليوم هذه الطريقة ، وبصورةٍ اكثر دِقّة في البلاد الاسلامية .

إذن ، فالغرق في الشهوات ، يؤدي إلى ضمور

الاحساس الديني ، وضعف تأثيره[1] ؛ بل وقد صرّح القرآن الكريم بذلك ، فانه لو صارت القلوب قاتمةً مظلمة ، وتكدرت وقست فحينئذٍ لا يجد نور الايمان منفذاً إليها ، كما في قوله تعالى : ﴿ . . . **إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[2] .

٢ ـ انّ البعض ممّن حملوا مسؤولية الارشاد للدين ، لم يعرفوا واقع الدين ، وحقيقته ولا اسلوب الدعوة اليه ، فبدلاً من الدعوة إلى تعديل الغرائز البشرية ، وتوجيهها التوجيه الصحيح ، نراهم يدعون لمحاربة الغرائز والميول الفطرية البشرية ، ويشيعون بأنّ الدين يعادي هذه الغرائز الفطرية ، ويدعو إلى القضاء عليها .

فانّ للبشر رغبات وغرائز فطرية كثيرة ، وكلها دخيلة في تكامل الانسان وسعادته .

فالرغبات لم تخلق عبثاً ولغواً ، حتى تقتل وتحارب ويقضى عليها ، كما هو الأمر في اعضاء الانسان الخارجية ، فلم توضع عبثاً في بدن الانسان .

كذلك ميول الانسان فإن هناك الكثير من الميول الفطرية أمثال حب الاستطلاع والمعرفة ، والرغبة في الثروة ، والميل لتشكيل الأسرة ، ومنها الدافع الديني أيضاً .

---

(١) بل ربما يؤدي إلى التنفر منه .

(٢) سورة المنافقون ، آية ٦ .

ولا يُوجد بين هذه الميول صراع وقتال ، ولا تضاد وعداء حقيقي ، وكل واحدة منها لها نصيبها في مجال العمل ، فاذا استعملت في حدودها المقرَّرة لها ، واذا منح لها نصيبها بعدالة ، فسوف تعيش فيما بينها بسلام ، وانما يبدأ الصراع بينها حين يعطي الفرد لأحدها نصيباً اكثر ، على حساب الميول الأخرى ، فيشبعها أكثر من الحدّ المقرّر لها .

ومن مميّزات الاسلام انه قد اعترف بجميع الميول الفطرية في الانسان ، ولم يرفضها ، ولم يمنح لاحداها سهماً ونصيباً اكثر مما تستحقه .

وهذا هو معنى فطرية التعاليم والقوانين الاسلامية ، أي تلاحم هذه القوانين ، وعدم عدائها ومعارضتها للفطرة البشرية ، أي كما أنّ الايمان والعبادة في الاسلام ، من أجل تربية وتنمية الاحساس الفطري الكامن في النفس الانسانية ، وكذلك التعاليم الاسلامية ، فانها متلائمة مع الفطرة البشرية ومتلاحمة معها .

ولكن بعض الافراد الذين يتظاهرون بالتقدس والزهد ، والذين يدّعون بأنّهم الدعاة إلى الدين ، يحاربون كل شيء باسم الدين ، ويرفعون هذا الشعار في أحاديثهم وخطاباتهم ، فهم يقولون : لو أردت أن تصبح مؤمناً ، متديِّناً حقّاً ؛ فيجب ان تقتل في نفسك كل الميول والغرائز : الميل للثروة ، والغريزة

الجنسية ، والرغبة في الزوجة والأولاد ، والرغبة في المعرفة والاستطلاع والظهور ، واقبع في غرفتك ، منعزلاً بعيداً عن المجتمع ، وعلى وفق هذا الرأي ، اذا اراد الفرد ان يستجيب للدافع الديني ، فيلزم عليه ان يحارب الدوافع والميول الأخرى كلها .

ولكن لو فُهِم الزهد بأنّه الهروب من المجتمع ، والعزلة ، وترك العمل ، لو عُرِف الدين أنّه يحارب الغريزة الجنسية ، وانه يعتبرها أمراً قبيحاً ، يجب على المتدين اجتيازها وعدم الاستجابة لها ، والانسان الافضل ، هو الذي يتجنب المرأة طوال عمره ، وكذلك لو عرف عن الدين انه عدوّ العلم ، وانه يحرض على إحراق العلماء وقتلهم ، والتنكيل بهم ، وغيرها من الشائعات والتصوّرات الخاطئة والمنحرفة عن الدين ؛ نعم ، هذه وغيرها ، ستزرع في النفوس العداء ، لمثل هذا الدين .

فيلزم على دعاة الدين :

١ ـ أنْ يتعرفوا على التعاليم الدينية الاصيلة ، وان يكونوا بأنفسهم من العلماء والمحقّقين في المسائل الدينية ، وان لا يلقوا في أذهان الناس ، تلك التصورات والمفاهيم المنحرفة ، وغير المعقولة ، باسم الدين ، حيث ان هذا الفهم للدين يؤدي إلى الانحراف عنه ، وإلى الكثير من التيارات المعارضة له .

٢ ـ تطهير البيئة الاجتماعية من الأوحال التي تلوثها .

٣ ـ أن تكون لهم تلك الرؤية الواقعية للغرائز كلها ، فلا يحاربون الغرائز الفطرية ، باسم الدين ، وآنذاك سترى بأن الناس ﴿ . . . **يدخلون في دين الله أفواجاً** ﴾[١] .

---

(١) سورة النصر ، آية ٢ .

المدد الغيبي
في حياة الانسان

تمهيد

موضوع البحث : الامدادات الغيبيّة في حياة البشر.

وقد احسستُ بأنّ هذا العنوان ، سوف يثير في الأذهان الكثير من التصورات ، فانّهم سيتخيلون بأنّني سأطرح مجموعةً من الخرافات ؛ وهو إنّما يدلّ على سذاجة مثل هذه الذهنيات ، التي تتصور بأنّني سأبحث هنا حول تسخير الجنّ ، والطلسمات وغيرها .

ويقيناً ان البعض حين يطرق سمعه هذا العنوان : (الامدادات الغيبيّة) ؛ سيقول : ما معنى البحث حول المدد الغيبي في هذا العصر ، عصر العلم والتجربة الذي اخضع كُلّ شيء ، للمشاهدة والحسّ ، واللمس ، لا مجال للبحث ، في عصر النور حولَ الغيب ، وما وراء الستار وكل ما وراء الطبيعة .

ولكن الأمر على العكس من ذلك، فإنّ هذه الاعتراضات والتصورات ، والادعاءات ، بأنّه لا معنى للبحث حول مسائل

الغيب ، والامدادات الغيبية ، في عصر النور والعلم ، وان هذا البحث لا يتلائم مع العلم والروح العلمية ، انّ هذه الاعتراضات ناشئة من الجهل ، بل ، مِمّا هو أقبح من الجهل .

ولكن ، هل هناك ما هو اقبح من الجهل ؟

أجل انّه الجمود ، كما هو الأمر في المجال المالي ، فهناك ما هو أكثر تعاسة من الفقر ، وهو الغرور ، وثقة الانسان المفرطة بمتلكاته ، أي : اعتقاده بانه لا يحتاج مع هذه الثروة لكُلّ شيء حتى للعمل والفكر ، وهذه الحالة اتعس من الفقر ، فإنّ مستقبلها اكثر خطورة من مستقبل الفقر .

الجهل قبيح ، لأنّه عدم العلم وفقدانه ، ولكن هناك الكثير من الجهلاء ، والفاقدين للعلم والمعرفة الذين يندفعون لتحصيل العلم بكل شوق ، وهناك الكثير من العلماء الذين يصيبهم الغرور والخُيَلاء بعلمهم ، وهذا الغرور يؤدي إلى وجود عالَمٍ مليء بالجهل والظلام ، فإنّ علمَ البشر ضئيل جدّاً ، بالنسبة للحقائق التي يحفل بها الكون .

قال تعالى : ﴿ . . . **ما أُوتيتم من العلمِ إلّا قليلاً**﴾[1] .

إنّ العالم الحقيقي ، هو الذي يعترف بجهله ، وعدم معرفته للكثير ، انّه لا ينكر وجود شيء بدون دليل ، اذا كان

---

(١) سورة الاسراء ، آية ٨٥ .

العالم جامداً مغروراً ، فهو ليس بعالم .

إن العالم الذي يتقبل الشيء ، أو يرفضه بدون دليل ، مثل هذا العالم لا يمتلك الروح العلمية ، انه مجرد مستودع لمجموعة من المعارف فحسب ، وآلة تسجيل ، قد سجّلت كل ما تعلمه وعرفه ، ولكن لا يوجد في روحه ذلك النور ، والمقياس السليم للقبول والانكار ، إذن فليست روحه علمية .

إذا رأيتم أنه قد حاز على العديد من الشهادات العلمية في مختلف العلوم ، ولكنه يتقبل الآراء أو يرفضها بدون دليل ، فاعلموا بأنه ليس عالماً حقيقياً ، فإنّ العلم في ذاته لا يلازم الجمود والغرور ، إنّ العالم يخضع ويستسلم للحقائق ، ويتأنّى بشدةٍ في القبول والانكار .

إذن فالجمود الذي هو أكثر قبحاً من الجهل ، هو الروح المعارضة والمناوئة للدقة والتحقيق ، هو الحالة التي تسلب من الانسان أقدس روحيةٍ ، وهي روحية التحقيق ، ويُمكن القول بأن الجمود اكثر قبحاً من الجهل .

وكـذلك انّ حس التحقيق أكثر قداسة من العلم نفسه ، فإنّ العلم إنّما يُعتبر مقدساً ومحترماً ، حين يُلازم روح التحقيق ، وإنّما تتوافر روح التحقيق ، حين يعترف الانسان بأنّه ناقص في علمه وثقافته .

وهناك حديث حول تقسيم العلم لثلاثِ مراحل ، ومضمون هذا الحديث ، بأنّ العلم ثلاثة أشبار : حين يصل الانسان للشبر الأول من العلم ، يصيبه الغرور والتكّبر ، وحين يصل إلى الشبر الثاني يصبح متواضعاً ، حيث يرى بأن معلوماته ضئيلة جداً تجاه المجهولات ، وحين يصل إلى الشبر الثالث ، يعلم بأنّه لا يعلم أيّ شيء ، ويقول : قد اتّضح لي ، بأنّني لا أعلم شيئاً .

ولابن سينا رباعية مشهورة باللغة الفارسية يقول فيها :

القلب وإنْ سار في هذه البيداء كثيراً ، ولكنه لم يتعرّف حتى على شعرةٍ واحدةٍ .

لقد اشرقت في قلبي اكثر من ألف شمس ، ولكنّ هذا القلب في النهاية ، لم يتوصلّ إلى التعرّف على كمال ذرةٍ واحدة .

وانشتاين أعظم فيزيائي ، ورياضي ، ويقول في كتابه (الخلاصة الفلسفية للنظرية النسبية) : ان الانسان حين تعرّف على الفيزياء الحديثة ، علم بأنّه لم يصل إلى الف باء كتاب الطبيعة ، فهو كالطفل الذي دخل جديداً للمدرسة الابتدائية ، والذي لم يتعرّف إلاّ على ألف باء اللغة ، وكم هي المدة التي سيستغرقها لقراءة وفهم الكتب العلمية بتلك اللغة ، والبشر كذلك ، يحتاجون إلى مثل هذه المدة أو أكثر لقراءة كتاب الطبيعة وفهمه) .

واستهدف من هذا البحث ، التأكيد على أنّ الدين لم يقف في وجه العلم ، بل إنّه كان عاملاً محرّكاً للعلم باتجاه التحقيق .

يقول وليام جيمز : (انّ الدين يؤشّر على بعض الأمور والأشياء التي لا طريق للعلم والعقل لمعرفتها ؛ ولكن ، هذه المؤشرات هي التي حفّزت العلم والعقل على التحقيق ، وبالتالي قد توصّل الكثير إلى الاكتشافات والاختراعات في مختلف الميادين ، وقد اعترف العلماء اليوم بهذه الحقيقة ، بأنّ الدين هو المُحَفِّز الأوّل على الكثير من المسائل العلمية التي توصّل إليها البشر .

تعريف الغيب

الغيب عبارة عن الأمور الغائبة عن الحواس الظاهرية ، وقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة كثيراً كما في قوله تعالى : ﴿**الّذين يُؤمنون بالغيبِ . . .**﴾[1] ، و﴿**وعندهُ مفاتح الغيب . . .**﴾[2] ، وربما استعمل الشهادة معها ﴿**. . . عالِمُ الغيبِ والشّهادةِ . . .**﴾[3] .

وقد استوحى فلاسفة الاسلام من هذا التعبير القرآني ،

---

(١) سورة البقرة ، آية ٣

(٢) سورة الانعام ، آية ٥٩

(٣) سورة الزمر ، آية ٤٦ .

فاصطلحوا على الطبيعة بعالم الشهادة ، وعالم الملكوت بعالم الغيب .

وتكفي حواسنا في الاعتقاد والايمان بعالم الشهادة ؛ بل ، إنّما سُمّي هذا العالم بالشهادة ، لعلاقته الوثيقة بحواسنا ، فهو محسوس وملموس لنا ، فلا نحتاج إلى الدراسة والتعلم ، لتكوين الايمان بوجود هذا العالم .

وإنّما نحتاج إلى الدراسة والتحقيق ، للتعرف اكثر على حقائقه ، ولكن ، هذه الحواس لا تُجدي وحدها ، في التعرف والايمان بعالم الغيب ، بل ، نحتاج في ذلك للعقل . الذي هو مرتبة من الغيب في وجودنا ، ونحتاج أيضاً إلى قوةٍ أكثر خفاءاً لشهود الغيب .

يقول المولوي : الجسم ظاهر ، والروح خفيّة ، الأجسام كالاكمام ، والأرواح كالأيدي ، والعقل اكثر خفاءاً من الروح ، والحسّ يصل إلى الروح بصورةٍ أسرع ، وروح الوحي اكثر خفاءاً من العقل ، فانّه غيب ، بينما العقل يطلع رأسه ويبرز .

ان الحسّ الذي نتعرف به على الحق ، ويتجلّى من خلاله الحق ، ليس هو الحسّ الدُنيوي ، هو من نوع آخر .

للانسان فهم وروح أخرى ، غير الروح والفهم لدى

الحمار والبقر ، وأيضاً غير الفهم والروح الآدمية ، هناك فهم آخر مختصّ بالنبي والولي ؟ .

وقد بُعث الآنبياء لتوجيه البشر ودفعهم إلى الاعتقاد بعالم الغيب ، ولم يكتفي الانبياء بتوجيه البشر إلى الاعتقاد بوجود الغيب ، بل إنهم بُعثوا لتكوين العلاقة بين البشر والغيب ، هم حلقة الوصل بين البشر وعالم الغيب ، بُعثوا لأجل أنْ يؤمن البشر بالامدادات الغيبية ، والفيوضات الغيبية الخاصة ، التي تُفاض وفق شروطٍ خاصة ، ومن هذا الجانب تكون لِمسألة الغيب علاقة بالواقع العملي التطبيقي للانسان .

ستار الغيب

قلنا : بأنّ الغيب يعني ما وراء الستار ، فكيف أسدل الستار بيننا وبينه ؟

وما هو هذا الستار ؟ .

وهل يوجد ستارٌ وحجاب حقاً ، لا بُدّ من انكشافه حتى نطّلع على الغيب ، أو أنّ هذه التعابير كنايات عن مفاهيم أخرى ؟

وقد استعمل هذا المعنى في القرآن الكريم حول القيامة ، كما في قوله تعالى : ﴿ . . . **فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ**

حَديد ﴾[1] ، والامام أمير المؤمنين (ع) يقول : كما نسب إليه : (لَو كُشِفَ لي الغطاء لَما ازدَدْتُ يقيناً) .

ومن المُسلَّم به أنّ هذا الستار ليس مادياً وجسمياً ؛ بل ، هو حجاب المحدودية ، محدودية الحواس ، فإنّ حواسنا لا تُدرك إلّا الأمور النسبية المحدودة .

المحدود واللامحدود

الموجود على قسمين ـ بحسب الافتراض الأولي العقلي ـ المحدود واللامحدود ، وإذا تعرفنا على المحدود ، سيتضح اللامحدود بنفسه .

انت تجلس هنا ، فتشغل نقطةً معينةً ، ومقداراً معيناً من الفضاء ، فلا توجد في نقطةٍ أخرى ، وفي مكانٍ آخر ، وإذا رغبت في أن توجد في موضع آخر ، فعليك بترك هذا الموضع والانتقال . فلا تستطيع في الوقت الواحد ، أنْ توجد في موضعين ، لذلك تكون من حيث المكان محدوداً بمكانٍ خاصّ ، وهكذا الأمر من حيث الزمان ، فنحن موجودون في هذا الزمان ولكننا غير موجودين في الأزمنة السابقة او اللاحقة .

ولكن ، لو هناك موجود ، غير محدود ، من حيثُ المكان والزمان ، أي لا يخلو أي زمان ومكان منه ، فهو موجود في كُلّ

---

(١) سورة ق ، آية ٢٢

زمانٍ ومكان ، بل هو محيط بالزمان والمكان ، فمثل هذا الموجود تكون حواسنا عاجزةً عن إدراكه ، وإنّما نرى شيئاً معيناً ، لأنّه موجود محدود ، وله جهة معيّنة ، ويقبل الاشارة اليه وله شكلٌ معين .

وأمّا لو كان غير محدود ، وليس له شكل ولا جهة معينة ، فإننا لا نتمكن ان نراه أبداً ، وإنّما نسمع صوتاً خاصاً ، لانه قد يوجد وقد لا يوجد .

وأمّا لو وجد صوت ممتدّ مستمرٌّ لا يسكت أبداً ، ويطرق اسماعنا دائماً ، فلا يمكن لنا أنْ نسمع مثل هذا الصوت .

يقول الغزالي ما توضيحه : بأنّنا نرى النور ونعرفه ، لأنّه قد يوجد وقد لا يوجد ، هو موجود في مكان ، وغير موجود في مكانٍ آخر ؛ وأمّا لو كان النور شائعاً في العالم كله ، وبصورة دائمة ، ومستمرة وشاملة ، فلا توجد أيّ ظلمة ، أو أُفول أبداً ، فحينئذٍ يكون الشيء الذي لا نعرفه هو النور ، الذي هو أظهر الاشياء ، والمظهر والمعرِّف ، لسائر الأشياء الأخرى ، إذن فإنّنا نعرف النور بمعونة ضدّه وهو الظلمة .

يقول محمود شبستري العارف المعروف : « إذا كانت الشمس في حالةٍ واحدةٍ ، وتشرق بصورةٍ دائمةٍ ومستمرةٍ ، لكان شعاعها على منوال واحد ، ولم يعلم احدٌ بأنّ هذا شعاعها ، ولم يكن هناك تفاوت بين الجلد والعقل .

العالم كله فيض من فيوضات الحقّ ، ولكن لكثرة ظهور الحقّ مخفياً .

وبما ان نور الحقّ ليس فيه انتقال وتحول ، لذلك يلزم ان لا يكون فيه تغيير وتبديل » .

وهذا ما يعنيه قولهم : (تُعرفُ الأشياء بأضدادها) ، فإنّ ذلك مختصٌّ بالأمور الخاضعة للحواس والتي نتعرّف على وجودها بواسطة الحواسّ .

وأهل العرفان يقولون : بأنّ الله أصبح خفياً لِفرطِ وجوده وكثرته ، أي ان حيثية الظهور والخفاء واحدة فيه ، هو خفي لأنه ليس له غياب وأُفولٌ وغروب ، ولا يخلو منه أيُّ مكان .

يا من اختفى لِفرطِ نورهِ الظاهر الباطن في ظهوره

وفي الأدب الفارسي يمثلون لهذه الفكرة بمثالٍ رائع مثال السمكة وحديثها عن الماء : ـ

(كانت سمكة تسبح في الماء . وكان فكرُها مثلي ناقصاً .

لم تعرف يوماً الخوف والقلق من الصيّاد ، ولم تمر بأوجاع الشباك وآلامه .

ولم تتألَّم روحها من العطش ، ولم يحترق قلبها من الشمس المحرقة .

وفي يومٍ ما ، كانت مستغرقة بهذه الفكرة : أن الناس يقولون دائماً : الماء ، ولكن أين الماء ؟

أين ذلك الاكسير الذي يبعث الحياة في الطير والسمك ؟
إذا كانت هذه الجوهرة الفريدة هي غذاء الحياة ، فلماذا يا ربّ قد اخفيتها عن عيني ؟

إنّ هذه السمكة لا يلوح لنظرها غير الماء في عمرها كله ، وتعيش بسلامٍ في أحضانه ، ولكن ليس هناك أيّ خبرٍ عن الماء .

فهل أنّها كانت غافلةً عن شكر النعمة ، ليقذفها الموج من البحر إلى الساحل ؟

وأخذت الشمس تلسعها ، وأخذ البحر يمزّقها لفراق الماء .

وامتدّ لسانها إلى شفتها من شدة العطش ، وارتمت على التراب وخطر الماء في ذهنها .

وحين سمعت من بعيد أصوات البحر وهديره ، ارتمت تتلوى على التراب وتقول :

الآن قد عرفتُ ما هي تلك الكيمياء ، وذلك الاكسير السحري ، الذي لا أمل لي في الحياة بدونه ، ولكن ـ للأسف ـ إنّني في هذا اليوم فحسب ، قد أدركت قيمة الماء وأهميّته ، حيث اصبحت قاصرة عن الوصولِ اليه) .

فهذه السمكة ، كانت تعيش في أحضان الماء العمر

كُلّه ، ويحيطها الماء من كل جانب ، فالشيء الذي لا تدركه ولا تعرفه ولا تراه هو الماء ، ولكنها في اللحظة التي تخرج من الماء ، وترى ما هو ضد الماء ، وهو الأرض ، حينئذٍ تشعر بوجود الماء وأهميّته لها .

إذن فالغيب ، إنّما كان غيباً بالنسبة لنا ، لقصور قُدراتنا الحسيّة ، والادراكية لا لوجود حائلٍ وستارٍ بين هذه القدرات وبين الغيب، وقد كُتِبَتْ بحوثٌ ودراساتٌ عديدةٌ حول حدود الادراكات ومداها ، في العصر الحديث ، وأهمها ما كتبه عَمّا نوئيل كانت في كتابيه؛ (نقد العقل النظري)؛ و(نقد العقل العملي) .

ولكن الفلاسفة الاسلاميين قد بحثوا هذا الموضوع بصورةٍ أكمل ، ولهذا الحديث موضعٌ آخر ، ويضيق المجال لو تعرّضنا له هنا .

والمولوي قبل قرون قد تعرّض لهذه الفكرة ، فكرة قصور الحس البشريّ ومحدوديته ، وضرب لذلك مثلاً : الفيلُ في هذه الابيات الرائعة .

(جاء الهنود بفيلٍ لعرضه على الناس وأودعوه غرفةً مظلمةً .

وتهافت الناس لرؤيته في ذلك الظلام .

وعندما لم تمكن رؤيته بالعين ، كانت الوسيلة الوحيدة

لمعرفته في تلك الظلمة القاتمة في اللمس باليد .

فذلـك الذي وقعت يده على خرطومه قال : إنّه كالميزاب .

وذلك الذي وصلت يده لأذنه قال : انه يشبه المروحة اليدوية .

وذلك الذي لمس قدمه ، قال : انه يشبه الأسطوانه .

وذلـك الذي وقعت يده على ظهره قال : بأنّه كالسرير .

فكُلٌّ من وقعت يده على جزء كان يتصوره بما يتلائم وذلـك الجزء .

ولكن اذا جعلت في كفّ كُلّ واحدٍ منهم شمعة ، لزال هذا الاختلاف في اقوالهم) .

وهذه الابيات وغيرها ، دراسة حول حدود الحواس وفاعليتها ، فإن الحاسة اللامسة اكثر محدودية من الباصرة ، فالباصرة تتمكن أنْ ترى وتُدرِك الحجم الكبير كالفيل ، بجميع اعضائه وأجزائه وبصورة موجودٍ واحدٍ يشتمل على ثلاثة أبعاد ، إذن ، فنسبة اللامسة للباصرة ، هي نسبة الحاسة المحدودة للحاسة اللامحدودة (وبالطبع اللامحدود النسبي) . وهذا بنفسه يأتي في نسبة الحواسّ جميعها للقوة العاقلة .

عالم الغيب

ويبرز هذا السؤال: كيف يكتشف العقل عالم الغيب ، وكيف يتعرّف عليه ، ومن أي طريق يصل إليه ؟ فما هي الأثار والدّلالات الموجودة في العالم والتي تقود العقل وتوجهّه للعالم الآخر ؟

وهذه المسألة خارجةٌ عن حدود بحثنا ، ونشير إليها اجمالاً : قد اثبت العلم والفلسفة ان الاصل في الأشياء المادية كلها هو : (الحركة) ، ولكن الفلسفة تتوصّل لهذه الحقيقة عن طريق غير الطريق الذي يسلكه العلم .

فالفلسفة ترى بأنّ الأشياء كلها متغيّرة في ذاتها وجوهرها، فالعالم كله قافلة تسير وتتحرك دائماً، ولكنها ليست قافلةٌ تنتقل من مكانٍ لآخر ، بل إنها تنتقل من وجودٍ لوجودٍ آخر ، وحركتها هذه مستمّرة ومتّصلة .

وقد اثبت صدرُ المتألّهين الشيرازي ، بأدِلّةٍ وبراهينَ قوية ، بأن جواهر العالم بدورها ، في تغييرٍ مستمّر ، وحركة دائبةٍ ، فنفس الفكرة التي اعتبرها ارسطو وابن سينا مستحيلة ، وقد اعتبرها الشيرازي ممكنة ، بل واقعة وضرورية ولازمة .

فإنه يرى : بأنّ العالم في حدوثٍ وفناءٍ مستمرّين ، حدوثٍ دائم مستمر .

ووفق هذه النظرة ، يتّضح وبصورةٍ كبيرةٍ ، بأنّ العالم غير قائم بذاته ، وغير معتمد على نفسه فحسب بل هو قائم بالغير ، ويعتمد في وجوده أبداً على غيره دون ان تكون له الاستقلالية في ذلك.

فإنّه بناءاً على النظرية الجوهرية هذه ، لم يخرج العالم في لحظةٍ واحدةٍ ، من ظلمة العدم إلى نور الوجود وتكون العلّة قد أوجدته فحسب ، كلا ، بل إنّ العالم في حدوث مستمر متواصل ويخرج من العدم بصورةٍ تدريجيةٍ ودائمة ، ولا تهدأ هذه الحركة المستمرة أبداً ، وهناك يد تعمل ذلك في هذا العالم وبصورةٍ مستمرةٍ ودائمة .

(إن حركتنا في كُل لحظةٍ هي بنفسها : (أشهد) : انها شهادة على ذي الجلال السرمدي .

إنّ دوران الرّحى : هو (أشهد) على وجود ساقية الماء .

يا خفيّ الذات محسوس العطا انت كالماء ونحن كالرّحى[1]

أنت كالروح ونحن كاليد والقدم ، ان امتداد اليد وانقباضها منبعثٌ من الروح

أنت كالعقل ونحن كاللسان وهذا الكلام الذي يتدفق من اللسان ، هو في الحقيقة تابعٌ من العقل .

---

(١) هذا بيت بالغة العربية من الشعر نفسه

أنت كالسرور والفرح ، ونحن البشاشة والضحكة فإن هذه البشاشة وليدة ذلـك السرور .

أنت الربيع ، ونحن كالحديقة الخضراء الغّناء ، فهو خفي ، والظاهر عطاؤه وفيضه .

يا مَن هو خارج عن وهمي ، وعن كُلّ قيلٍ وقال : أفّ لي ولتشبيهي ، وتمثيلي) .

إنّ هذا العالم في : وجوده ونظامه ، وحياته ونشاطه وفعاليته ، كلها مستمدة من ذلـك العالم الآخر .

إن هذا العالم كالزبد ، وذلك العالم كالبحر .

(إنّ حركة الزبد ليلاً ونهاراً سببها البحر .

ونحن كالسفن التي تتلاعب بها الأمواج وتصطدم احداها بالأخرى ، وعيوننا مغلقة عمياء ، ولكنها تبصر في الماء .

أنت يا من رقدت في سفينة بدنك ، قد أبصرت الماء ، ولكن انظر للماء الذي في الماء .

ان للماء ماء يدفعه وللروح روحاً تطلبها .

ان العشق بحر ، والسماء عبره زبدٌ ، كزليخا التي وقعت في هوى يوسف .

اعلم أنّ الحركات نابعة من موج العشق ، إذا لم يكن للعشق وجود لصمتت ، ولعاش العالم كله في سُبات .

متى أصبح الجماد يذوب ويتفانى في النبات ؟ متى أصبحت الناميات تضحّي بنفسها من أجل الروح ؟

متى كانت الروح تضحيّ بنفسها من أجل تلك النفخة ؟ التي من نسيمها أصبحتْ مريم حاملاً ؟

كُلُّ شيء اتّخذ موضعاً ، يرقد فيه كالثلج بسُباتٍ وصمتٍ ، فأيّ شيء أصبح كالجراد يطير ويدور باحثاً هنا وهناك ؟

إنّ كُلّ ذرّة من عُشاق ذلك الجمال ، تكبر وتنمو للأعلى كالغرس) .

الإمداد الغيبيّ

كما أنّ الاشياء في أصل وجودها مفتقرة إلى المدد من الغيب، أي : لكل شيء في الطبيعة مدد غيبي .

وكذلك الأمر في حياة البشر ، فهناك مجموعة من الامدادات الغيبية الخاصة ، فماذا يعني ذلك؟ وهل الامدادات الغيبية نوعان ، عامة وخاصة ؟

أجل ، هي كذلك وقبل التعرف على هذين النوعين يلزم علينا التعرّف على بعض المصطلحات القرآنية .

لقد وصف القرآن الكريم الله تعالى بصفتين ﴿ الرحمن ،

الرحيم﴾ والبسملة التي هي آية قرآنية تشمل كلا الاصطلاحين ، وهاتان اللفظتان مشتقتان من الرحمة والفرق بينهما :

انّ الرحمة الرحمانية : عامة شاملة لكُلّ الموجودات ، فإنّ وجود كلِّ شيء ، هو بنفسه رحمة بالنسبة لذلك الموجود ، وكذلك الوسائل التي خلقت من أجل المحافظة على بقاء وجوده ، واستمرارية حياته ، هي رحمة أيضاً .

وأمّا الرحمة الرحيميّة : فهي عبارة عن الالطاف الخاصة ، التي يستحقها المكلّف لحُسنِ اداء وظيفته ، فهي لطفٌ خاصٌ ، ووقف قوانين خاصة معينة ، وليس قانوناً عاماً للطبيعة .

وقد بُعث من أجل دفع البشر للايمان ، بمثل هذه الامدادات الغيبية الخاصة ، فلو توافر فينا مثلُ هذا الايمان ، استحققنا بعض الالطاف من الله ، وأمكن لنا أنْ نطلبها من الله تعالى .

وعلى أي حالٍ ، فإنّ البشر في حياته الخاصة ، تشمله أحياناً الالطاف ، والتوفيقات الخاصة سواء في حياته الفردية أو الاجتماعية التي تعينه ، وتنتشله من السقوط والدّمار ، والقرآن الكريم يقول بخصوص النبي (ص) : ﴿ أَلَمْ يجدك يتيماً

فآوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى ﴾[1] .

ونحن نردّد في الفرائض الخمسة : ﴿ إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين ﴾[2] . وهو نوع من طلب المدد من الغيب .

أنواع الامدادات الغيبيّة

إنّ مدد الغيبي ، تارة يظهر ، بصورة توفير الشروط والظروف لتحقق النجاح والتوفيق ، وأخرى بصورة إلهامات وتوجيهات . ولكن ، يجب أن نعلم بأنّ هذه الألطاف الغيبية لا تتحقق عبثاً ومجاناً . فليس الأمر كما يتخيّله البعض ، بأن يعتكف في بيته دون أن يعمل شيئاً ، ثم ينتظر أن تأتيه الغيبية لتسجيب مطالبه .

كلا ، فإنّ مثل هذا التوقّع مخالف للناموس الوجود والخليقة . وهناك آيتان في القرآن الكريم ، تشيران إلى هذين النوع الأول من الامدادات الغيبية ، وهو توفير شروط الموفقية والنجاح ، والثانية : تشير إلى النوع الأول من الامدادات وهي الالهامات والالطاف ، والتوجيهات والارشادات المعنوية .

وسوف نتعرّف على الشروط التي يذكرها القرآن الكريم للمدد الغيبي ، وأنّه لا يفاض عبثاً ومجّاناً .

---

(١) سورة الضحى ، الآية ٦ ـ ٨

(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٤

الآية الأولى حول النوع الأول: ﴿ . . . **إنْ تنصروا الله يَنْصُرْكُم وَيُثَبِّتْ أَقدامَكُم**﴾[1]. إذَنْ فمعونة الله، وهي المدد الغيبي ، مشروطه بنصرة الله السابقة على مدد الله ، أو للمقارنة له ؛ أي : بالخدمة والعمل والجهاد في طريق الخير ، وأنْ يكون كُلُّ ذلك في سبيل الله ، أي لله وفي الله ؛ وكما أنّ العمل والمجاهدة شرط ، فكذلك الاخلاص وحسنُ النية .

الآية الثانية حول النوع الثاني : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمَعَ المحُسنين** ﴾[2] ، وهذه الآية كالسابقة ، وقد اشترطت العمل ، وبذل الجهود ، وكذلك اشترطت النية ، وأن يكون ذلك في سبيل الله ، فاشترطت القوة البدنية ، والقوة الروحية المعنوية ، وفي ظل هذه الشروط سوف تتحقق الهداية والنور القلبي للانسان .

والامام علي (ع) في فقرةٍ رائعةٍ يتعرض للارضية التي يهبط فيها نصرُالله ، والشروط التي يُفاض في ظِلِّها المدد الغيبي ، وهذه الفقرة مذكورة في نهج البلاغة .

(ولقد كُنّا مع رسولِ الله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضيّاً على الغم ، وصبراً على مضض الألم ، وجِدّاً في جهاد العدو . ولقد كان

---

(١) سورة محمد ، آية ٧

(٢) سورة العنكبوت ، آية ٦٩

الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاوَل الفحلين . يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون . فَمّرةً لنا من عدونا . ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا انزل لعدونا الكبت وأنزل علينا النصر ، ولعمري لو كُنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ، ولا اخضرّ للايمان عود) .

والقرآن الكريم يقول حول أصحاب الكهف : ﴿ . . . **إنّهم فتية آمنوا بربّهم وزِدناهم هُدىً * وَرَبطنا على قلوبهم إذْ قاموا** . . . ﴾[1] .

بما أن هؤلاء قد آمنوا بالله ، وثاروا بوجه التقاليد الجاهلية ، وخرافات قومهم ونصروا دين الله تعالى ؛ لذلك ، أفاض الله عليهم أَلْطافه الخاصة ، فأعطاهم قوة في العقيدة وصلابة في القلب .

فالمدد الغيبي هنا ، كان بصورة الهداية ، وتقوية الارادة ، وكلاهما مشروط بأمرين : احدهما العمل والثورة والثاني : ان يكون ذلك لله وفي الله .

فإذا اقترنت حياة الانسان بالرغبة في الحقيقة ، والبحث الدائب عن الحقّ ، والاخلاص ، والعمل النافع ، فسوف تشمله الحقيقة بعنايتها وسوف تمتد يد الغيب له من طرق مختلفة ربما تكون مجهولة له .

---

(١) سورة الكهف ، آية ١٣ ، ١٤ .

وهذه الحالة كما أنها من الأمور الاعتقادية ، ومن آثار الايمان بتعاليم الانبياء وكذلـك هي بنفسها ، حقيقة تجريبية ، أنّها تجربة شخصية فردية يلزم على كُلِّ فرد أَنْ يُمارس مثل هذه الأعمال الموصلة لهذا الفيض الالهي في حياته ليرى لطف الله وعنايته ومدده ، وأيّ لذة تفوق لذة المشاهدة لآثار لطفِه تعالى .

وليس في هذا السبيل مشقة كبيرة ، فإن المراحل الابتدائية له يسيرة وخفيفة ، فإنّ الانسان يتمكن أنْ يرى آثار لطف الله ولو بصورة ضئيلة في أداء بعض الأعمال الصالحة ، كخدمة الناس ، واعانة الضعفاء وبالخصوص الاحسان للوالدين ، وغيرها ، ولكن بشرط الاخلاص وحسن النية ، إنّني قد جربت ذلـك بنفسي ، فرأيت لطف الله في ظلِّ هذه الشروط .

الفرق بين الفكر المادي والإلهي

لا فرق ـ في نظر المادي ـ بين طريق الحق وغيره ، ولا توجد حسابات خاصة ، وأسس معينة ، لِكُلِّ ما يحفل به العالم من عدل وظلم ، وحسن وقبح ، وعلى ضوء النظام الكُلي الحمليّ للعالم .

إذْ ليس للعالم عين ولا أُذُن ولا عقل ولا إدراك ، حتى يتعرّف على مثل هذه الأمور وحتى يتعاون مع أولئك الذين يسعون من أجل الحق والعدالة والاخلاق ، والقيم الانسانية ،

والاخلاص، والاعمال الخيرية ، بينما لا يتعاون مع أولئك الذين لا يسعون في هذا السبيل .

وأمّا الإلهي ، فهو يرى فرقاً وتفاوتاً بين هذه الأمور والحالات في حسابات النظام الكلي للعالم ، فيعترف بوجود الحقّ والحقيقة ، ويحاول بكل ما يملك من قُـوةِ الدّفاع عن رجال الحق وحمايتهم .

وقد ذكرت في كتابي (الانسان والقدر) في موضوع : تأثير العوامل المعنوية في المصير .

(يرى المادّي : بأنّ العوامل المؤثرة بالأجل والسلامة والسعادة منحصرة بالعوامل المادية ، فالعوامل المادية ، هي التي تقرّب الأجل أو تؤخره وهي التي تمنح السلامة للبدن ، أو تسلبها منه ، أو تحافظ على السعادة أو تقضي عليها .

وأمّا الالهي : فإنّه يرى بأنّ العالم يمتلك الشعور والحياة ، وانّ لافعال البشر ردود فعل ، ويعتقد بوجود التفاوت بين القبح والحسن في حسابات العالم ، وأنّ لاعمال الخير والشر ردود فعل تُواجه الانسان في حياته) .

وقلنا في هذا الكتاب أيضاً : (يرى المادي : بأنْ ليس للسُّنن التشريعية ـ وهي المقرّرات التي يلزم على الانسان العمل بها ـ أيّ حسابٍ على ضوء السنن التكوينية ، وليس هناك أي

تأثير للعالم في مسيرة الانسان في الحياة ، فالحق والباطل ، والصحيح والخطأ ، والعدل والظلم لا تفاوت فيما بينهما ، بنظر العالم ، وموقف العالم ومعاملته مع العاملين بهذه الأمور المختلفة معاملة واحدة .

وأمّا الالهي فأنّه يعتقد : بأنّ معاملة العالم ليست واحدة ، فهي بجانب انصار الحق والعدالة والرسّالات الحقة المقدّسة .

ان المادي مهما كان مؤمناً بمبدئه واهدافه ، ومهما كانت رسالته مقدّسة شاملة ، بعيدة عن المنفعة الشخصية وحبّ النفس ومهما بذل من الجهود والتضحيات في سبيل الأهداف التي يسعى لتحقيقها ، فإنه بالتالي سيعتقد بأنّ النتيجة التي سيتوصّل إليها ، تكون بحجم الجهود التي بذلها في سبيلها .

وأمّا المسلم والمؤمن ، فانّه يعتقد بأنّ العالم قد خُلق بصورةٍ، أنْ لوضحّىٰ بنفسه في طريق الحق ، فانّ العالم سوف يهب للدفاع عنه وحمايته ، وان حجم القوة الكامنة في الكون ، التي تهبّ للدفاع عنه اضعاف القوة التي يبذلها في طريق اهدافه المقدسة بكثير ، فإن المدرسة المادية ترى بأنّ ثقة أنصار الحقّ والعدالة بالوصول لاهدافهم نتيجة نشاطاتهم وجهودهم بمقدار الثقة لدى أنصار الظلم والباطل ، في الوصول لاهدافهم الجهنمية نتيجة فعالياتهم ، فانّهم يعتقدون بعدم الفرق بين هاتين

الفئتين في حسابات العالم ، ولكن المدرسة الالهية ، ترى وجود فرق كبير ، وتفاوتٍ شاسع بينهما) .

الإلهام والإشراق

من أنواع الامدادات الغيبية ، تلك الالهامات والاشراقات التي تشرق فجأةً في أذهان بعض المفكرين .

فإنّ العلم والمعرفة عادةً يصل إليها الانسان من خلال طريقين :

أحداهما : التجربة والمشاهدة العينية .

والثاني : القياس والاستدلال ، فالانسان يتعرَّف على أسرار الطبيعة وحقائقها من خلال المشاهدة العينية ، أو أنّه يستنتج الحقائق والنتائج بقوة القياس والاستدلال ومثل هذه التوفيقات نتيجة حتمية للمقدّسات التي طواها الانسان .

ولكن النظر الفلسفي العميق يُلاحظ توافر الالهامات ، حتى في تلك الطرق والوسائل المتعارفة للمعرفة ، وهذه المسألة خارجة عن بحثنا ؛ يقول السبزواري :

والملهِمُ المبــدِع العليمُ حيٌّ قــديمٌ مَنُّـه عميم

ولكن ، هل أنّ معلومات البشر خلال تاريخه الطويل ، لم تنبثق وتكتسب إلّا من خلال هذين الطريقين ، أم هناك طريق آخر للعلم ؟

يعتقد الكثير من المفكرين ، بوجود طريق ثالث ، فان الكشوفات والمخترعات كانت تبرق فجأةً وتُشرق في أذهان العلماء ثم تغيب وتختفي .

ويعتقد ابن سينا بأنّ هذه القوة الملهمة ، الموجودة في الكثير من الافراد ، ولكن بنسبٍ مختلفة ، وقد فُسر بها الآية الشريفة ﴿ . . . **يكاد زيتُها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ** . . . ﴾[1] .

ويدّعي الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) : بأنّ الكثير من المعلومات البشرية ، المتعلقة بالحاجات الحياتية ، قد انكشفت في بدايتها للانسان ، بوسيلة الالهام .

ويقول الغزالي حول الوحي والنبوّة : إنّ الشاك فيهما ، إمّا ان يكون شاكّاً بالامكان، أو بالوقوع، أو أنّه يشُكُّ في فردٍ بالخصوص أنه قد التقى به الوحي أم لا ؟

ثم يقول : انّ افضل دليلٍ على امكان ذلك هو وقوعه ، فانّ الكثير من المعارف البشرية في مجال الأدوية والعلاجات ، والنجوم التي لا يمكن ان نتصوّر بأنّهم قد تعرفوا عليها بواسطة التجربة ، قد اهتدى اليها البشر ، من طريق الالهام واللطف الالهي .

ونصير الدين الطوسي أيضاً ، يتبنى هذا الرأي عندما

---

(١) سورة النور ، آية٣٥

يبحث حول الوحي والنبوّة ، فيعتقد بأنّ الكثير من الصناعات قد توصّل إليها البشر بواسطة الالهام .

والمولوي أيضاً في بعض اشعاره يُشير إلى هذه الفكرة .

(ان علم النجوم والطب من وحي الانبياء ، ولولا الوحي لكان طريق الحسّ والعقل مسدوداً ، لا هدف له .

يقيناً ، ان جميع الحرف مستمدة من الوحي ، ولكن العقل عمل في تكثيرها وتطويرها) .

قد يدّعي البعض بأنّ هذا الرأي ، قد مضى وقته ، واصبح مهجوراً وليس له أتباع وأنصار في عصرنا الحديث ، فلا يقول أحدٌ بأنّ الالهام منبع لبعض المعارف ، فالعالم اليوم يعتقد بأنّ المنبع الوحيد للمعرفة ، هو الحواس الظاهرية ، فحسب ؛ فلا يؤمن إلا بالمشاهدة العينية ، وتكرار المشاهدة والتجربة ، ولا يعتقد بغير الوسيلة للمعرفة .

ولكن ، ليس الأمر كذلك فهناك الكثير من المفكّرين في العصر الحديث ، يؤمنون بما ذكرناه وان الكثير من الآراء والفرضيات وليدة الالهام ، والكسيس كارل ، أحد أنصار هذه الفكرة ، (الاشراق والالهام) يقول في كتابه (الانسان ذلك المجهول) :

(لا بُد أن نجزم بأنّ الاكتشافات العلمية ، ليست

حصيلة الفكر البشري فحسب فانّ النوابغ بالاضافة إلى امتلاكهم لقدرة المطالعة الواعية ، وادراك المسائل ، والتحقيق فيها ، فانهم يمتلكون قوةً أخرى ، هي قوة الاشراق والتصور الخلاق ، فانهم تعرّفوا بواسطة الاشراق ، على الكثير من الأشياء التي كانت غامضة خفية على الآخرين ، واطّلعوا على العلاقات بين الأشياء، التي لا علاقة فيما بينها ظاهراً . وعلى الكثير من الكنوز المخبوءة المجهولة ، وبدون تحليل واستدلال) .

ويقول أيضاً (يُمكن تقسيم العلماء إلى قسمين : المنطقيين والاشراقيين ، والتطّور العلمي مدين لهاتين الفئتين من العلماء ، فالعلوم الرياضية التي تعتمد في أساسها تماماً على المنطق ، كان للإشراق نصيب فيها أيضاً ، والاشراق عامل مهم لمعرفة القضايا في الحياة العادية أيضاً ، كما هو الأمر في المسائل العلميّة ؛ ولكن ربما يعسر تمييزه عن الوهم ولا يمتلك كل أحد القدرة على التمييز ، إلاّ الرجال العظام ، وأصحاب القلوب الطاهرة النقيّة ، وهذه الموهبة مدهشة حقاً ، فكيف يُدرك الانسان الحقائق بدون دليل) .

ويذكر الكسيس كارل مجموعة من العلماء الرياضيين ، يدعي بأنهم من فئة المنطقيين ، وقد توصلوا إلى آرائهم وثقافتهم الرياضية ، عن طريق الدراسة والبحث والاستنتاج المنطقي ، ثم يذكر مجموعة أخرى من الرياضيين ويدعي بأنّهم من فئة الاشراقيين المُلهمين .

وهناك غير الكسيس كارل من العلماء ، قد اعترف بهذه الحقيقة أيضاً ؛ فانّ احد الرياضيين الفرنسيين ، واسمه (جاك هادامارا) له مقالة بعنوان (تأثير الشعور الباطن في البحوث العلمية) ؛ يقول فيها :

(حين نتأمّل في الكشوفات والاختراعات ، فلا يمكن لنا ان نهمل تأثير الادراكات الباطنية المفاجئة ، فانّ كل عالم محقّق ، قد أحسّ بهذه الحقيقة ، وهي أنّ الحياة ، والمسائل العلمية مؤلفة من مجموعة من الفعاليات والنشاطات التي كان للشعور والارادة دخل في بعضها ، والبعض الآخر منها ناشىء من بعض الالهامات الباطنية) .

ولا أذكر الآن في أي كتاب قرأت : بأن انشتاين يعترف بذلك ايضاً ، وأنّ الفرضيّات الكبيرة وليدة نوع من الالهام والاشراق .

ويتّضح من كل ما تقدم : بأنّ بعض الافراد قد توفرت لهم في حياتهم بعض الانواع من الامدادات الغيبية ، وهذا المدد إمّا ان يتحقق في قوة القلب والارادة ، او توفير الاسباب المادية للعمل ، أو افاضة الهداية والبصيرة ، أو الهام الافكار العلمية الكبيرة وغيرها .

إذن ، فالانسان لا يترك لوحده دائماً ، فهناك يد غيبية

تطلّ عليه أحياناً ، ووفق شروطٍ خاصةٍ ، لتنقذه من الضلال والعجـز واليأس والضعف والضياع .

الامدادات الغيبية الاجتماعية

كان حديثنا حول توفّر المدد الغيبي ، بالنسبة للفرد الواحد ، ولكن هل يتمّ ذلـك للبشر جميعهم ، فتتدخّل اليد الغيبية أحياناً لتنقذهم وتأخذ بأيديهم إلى شاطىء النجاة ؟

والملاحظ ان الانبياء الكبار ، أمثال ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) ، إنّما ظهروا في الظروف الصعبة ، التي كانت البشرية فيها بأشدّ الحاجة لوجودهم ، فكانوا اليد الغيبية التي انقذتهم وكانوا كالمطر الذي يهطل في الصحراء الظامئة العطشى ، انهم مصداق الآية الشريفة : ﴿ **ونريد أنْ نَمُنّ على الذين استُضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين** ﴾[1] .

والامام علي (ع) يحدّد المناخ والأرضية التي بعث فيها الرسول (ص) ، (أرسله على حين فترةٍ من الرسل ، وطول هجعة من الأمم ، وانتقاض من المبرم ، وانتشار من الأمور ، وتلظٍ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ، ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها وإياسٍ من ثمرها) .

---

(١) سورة القصص ، آية ٥

لقد ظهر الانبياء في فترة كانت فيها البشرية ، أو محيطهم الاجتماعي على الأقل تعيش حالةً خطيرةً ، وكانوا هم السبب في نجاة المجتمع واصلاحه ؛ والقرآن الكريم يخاطب المجتمع الذي بُعث فيه الرسول (ص) : ﴿ . . . **وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** . . . ﴾[1] .

وهناك امثال سائرة ، يتداولها الناس ؛ أمثال : عند انتهاء الشدة يكون الفرج ، أو الفرج بعد الشدة ، وهناك أيضاً في اللغة العربية بهذا المعنى ، وهذه كلها تعبّر عن التجارب البشرية في هذا المجال ، وان حركة العالم ومسيرته ليست كما يتخيّلها المادي ، حركة عبثيّة وعشوائية .

المهدوية في الاسلام

انّ مسألة المهدوية في الاسلام ، وبالخصوص عند الشيعة ، لها فلسفة كبيرة ، انّ الاعتقاد بظهور المخلص والمصلح ، ليس بمعنى ظهوره في منطقة جغرافية معّينة ، أو لجماعة وقبيلة خاصة ، أو عنصر خاص ، أو لا نقاذ المسلمين فحسب ، انّه يظهر لانقاذ البشرية عموماً في العالم كله ، وتغيير الاوضاع الحياتية للبشر ، بما فيه صلاحهم وسعادتهم .

ربما يتخيّل البعض بأنّه في عصرنا عصر العلم ، العصر

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٣ .

الذي تعرّف فيه الانسان على أسرار الأرض وحقائقها وسخرها ، والآن يرتقي إلى السماء ليتعرّف عليها ويسخّرها ، فلا تحتاج البشرية حينئذٍ للمدد الغيبي ؛ اذ أنّه يصبح بذلك اكثر تكاملاً واستقلالية فلا يحتاج للمعونة الغيبية ، أو أنّه اقلّ احتياجاً لذلك ، فان العقل والعلم بالتدريج سوف يملآن الفراغ ، ويستجيبان لمثل هذه الاحتياجات والرغبات .

وانما الخطر يهدّد البشرية لو شاعت الجهالة ، فانّ البشر بأيديهم الجاهلة الغبية ، سيوفّرون عوامل فنائهم ودمارهم ، وسيفقدون التوازن والتعادل في حياتهم ولكن بعد أنْ استضاء العالم بنور العلم ، فلا يهدِّده أيُّ خطر .

ومما يؤسَف له ، أنْ يخطر مثل هذا الوهم الباطل في أذهان البعض فانّ المفاسد والأخطار والمتاعب، التي ظهرت في عصر العلم ، ليست أقلّ منها في العصور السابقة ، بل ، انها اكثر وأشدّ .

إنّنا في وهمٍ كبير ، حين نتصوّر ، بأنّ الباعث على انحرافات البشر دائماً هو الجهل ، وعلماء التربية والاخلاق في مختلف العصور ، قد بحثوا هذه المسألة ؛ وهل انّ الباعث والمنشأ لانحرافات البشر ، هو الجهل فحسب ، فحينئذٍ يكفي التعلّم والتعليم لمقاومة هذه الانحرافات والقضاء عليها ؟ ام أنّ الأمر ليس كذلك ؟ بل ، انْ الجهل أحد العوامل المؤدية

للانحراف ، فان اكثر الانحرافات ناشئة من عدم التعادل في الغرائز والميول ، نتيجة الاستسلام للشهوة والغضب ، أو طلب الجاه واللذّة ، وبالتالي فانّها ناشئة في واقعها من عبادة النفس وعبادة المنفعة ؟ ولا شك بأنّ النظرية الثانية هي الصحيحة .

ولِندرُس ، وضعية الغرائز البشرية في عصرنا الراهن ، غرائز الشهوة والغضب ، وحبّ الشهرة والمنصب واستغلال الانسان ، واستثماره وعبادة النفس والمنفعة والظلم والاضطهاد وغيرها ، فهل هدأت هذه الرغبات والغرائز في ظلال العلم ؟ لتحلّ محلّها روحُ العدالة ، والتقوى ، والعفاف ، والصدق، وغيرها من القيم الرفيعة ؟ أم أنّ الامر على العكس تماماً ؟

من الواضح : انّ غرائز البشر أصبحت في عصرنا اكثر جنوناً من السابق ، وأصبح العلم والفنّ آلات ووسائل بايدي هذه الغرائز المدمِّرة، وان ملائكة العلم أصبحت خدماً لشيطان الشهوة ، والعلماء وجنود العلم أصبحوا خدماً للسياسيّين ، والباحثين عن المناصب والذين يدّعون الربوبية في البشر .

اعتقد بأنّنا سوف لا نتردّد في القول ، بأنّ التقدم العلمي ، لم يكن له أي تأثير في غرائز البشر ، بل الأمر على العكس ، لقد أصبح الانسان اكثر غروراً ، الغرائز الحيوانية اكثر اشتعالاً وضراوة ، ومن هذه الناحية أصبح العلم الحديث أكثر عداوةً للانسان ؛ أيْ : انّ ذلك الشيء الذي هو افضل

صديق للانسان ، اصبح من أشدّ اعدائه حقداً عليه وعداوة له لماذا ؟

إنّ علم الكهرباء ، إنّما يكون مفيداً ومثمراً ، فيما لو لوحظ في أيّ موضع يُستفاد منه ، ولايّ هدف ؟ وكما يقول (سنائي) : انّ المصباح يمكن الاستفادة منه ، لقراءة كتاب ويمكن الاستفادة منه للسرقة في الليل المظلم .

إنّ الانسان انّما يستخدم العلم من أجل تحقيق اهدافه الخاصة ، ولكن ما هي أهداف البشر ؟ لا يتمكن العلم من تغيير أهداف الانسان ، أو تغيير قيم الاشياء في نظره ، أوْ أن يجعل من مقاييسه معايير انسانية عامّةٍ ، فانّ ذلك مهمة الدين فحسب ؛ إنّها وظيفة القوة التي تمتلك السيطرة على الغرائز والميول الحيوانية ، واثارة الغرائز الانسانية السامية فيه .

إن العلم يتمكن أنْ يسيطر على كُلّ شيء ، الاّ الانسان وغرائزه ، وإنّما الانسان هو الذي يمتلك القدرة في السيطرة على العلم ، وتوجيهه الوجهة التي يريدها والدين وحده ، يتمكن ان يُمسك زمام الانسان ، ويضعه تحت اختياره وارادته ، ويغير من اهدافه وطموحاته .

يقول ويل ديورانت في كتابه (لذات الفلسفة) حول الانسان في عصر السرعة (أنّنا أصبحنا اكثر قدرة من حيث التكنيك ، ولكننا فقراء في الاهداف) .

فلا فرق بين الانسان المعاصر وغيره، في أنّ كلاً منهما أسيرٌ لغضبه وشهوته ، ولم يتمكّن العلم من تحريره ، واطلاق سراحه من هوى النفس ، لم يتمكن العلم ان يغيّر من طبيعة اكثر من « حجّاج » واكثر من « جنكيز »، وأمثالهما من مجرمي التاريخ ، بل انّهم اليوم بأنفسهم يحكمون العالم ويسيطرون عليه ، بتلك الطبيعة المجرمة نفسها ، متقنّعة بقناع الرياء والنفاق والازدواجية ، بل ، إنّهم اصبحوا اكثر قدرة وخبرة في الاجرام بواسطة العلم ، لقد تبدّل السيف إلى صاروخ يحمل القنابل المدمِّرة الجهنمية .

مستقبل العالم

بما أنّنا مسلمون ، فانّ الثقة والاطمئنان والتفاؤ ل بمستقبل البشرية تغمر قلوبنا ، وان كل ما يحدث في العالم ، وان بعثَ على الاحساس بالخطر الهائل المخيف ، وتوقّعه الخطر الذي يحمل الفناء والدمار للبشرية ويحول الكرة الأرضية إلى رماد ، لتذهب ادراج الرياح جهود البشر كلها عبر آلاف السنين لبناء الأرض وتعميرها .

ولكن ، نحن المسلمين ، رغم كل ذلـك نعتقد اعتقاداً جازماً ، انه لا بُد ان تدوم الحياة ويعيش الانسان ، بعدنا سنين متمادية ، وربما ملايين السنين ، ولا تفنى بمثل هذه البساطة .

نعتقد بكل ثقة واطمئنان ، انه سيولد بعدنا الكثير من

المسلمين ، يعيشون في هذه الحياة ويرحلون ، فلا يخطر في أذهاننا هذا المصير الرهيب لعمر العالم ، وهو انتهاء عمر الانسان وعمر الأرض .

ان تعاليم الانبياء قد بعثت في نفوسنا الامان والاطمئنان ، وفي الواقع انّنا نؤمن في أعماق قلوبنا ، بالامدادات الغيبية .

فاذا قيل لنا : ان هناك مذنّباً عظيماً ، يسير بسرعة هائلةٍ جنونيةٍ في الفضاء ، وبعد ستة اشهر سيصل لمدار الارض ، ثم يصطدم بالارض بقوة ، ليحولها بلحظة واحدة إلى رماد ، فإن ذلك لا يثير فينا الفزع والخوف ، ان اعماقنا مليئة بالاطمئنان والثقة ، بأن حديقة البشرية الجديدة العهد بالتفتّح والازدهار ، لا تفنى بمثل هذه السهولة .

أجل . . كما أنّنا نؤمن بأنّ العالم لا يفنى بالمذنّب الطائر ، أو بغيره من الحوادث الفضائية ، كذلك نؤمن بأنّ العالم لا يفنى بيد البشر بواسطة القوى المخرّبة التي صنعها الانسان بنفسه ، أجل إنّنا لا نصدق بذلك ، بفضل الالهام المعنوي ، والمدد الغيبي ، الذي اقتبسناه من تعاليم الانبياء .

ولكن الآخرين هل يمتلكون مثل هذا الايمان ام لا ؟ هل تعرف نفوسهم هذه الثقة والاطمئنان والتفاؤ ل بمستقبل الانسان والأرض ، والحياة والمدينة ، والسعادة والعدالة والحريّة ؟ كلا .

وبين الفينة والأخرى ، نقرأ في الصحف ، أو نستمع في أحاديث الزعماء ، وقادة السياسة العالمية وخطبهم ، للآراء المفزِعة حول المستقبل المخيف ، الذي ينتظر البشرية .

فإذا لم نمتلك في أعماقنا ذلك الاعتقاد ، الذي يبعثه الدين فينا ، وفقدنا الايمان بالمدد الغيبي ، واعتمدت أحكامنا على العوامل ، والعلل الظاهرية فحسب ، فلا بُدّ أنْ نعتقد بأنّ هؤلاء المتشائمين ، على حق في نظراتهم حول المستقبل البشري ؟

لماذا لا نكون متشائمين ؟ انّ العالم الذي يتوقف مصيره على زرٍّ يضغطه انسان ، وبعد ذلك تعمل الآلات المخرّبة عملها المخيف ، التي لا يعلم مداها إلّا الله ، العالم الذي يقف على فُوَّهة بُركان ، وعلى ركامٍ هائلٍ من البارود ، وشرارة واحدة تكفي لإنْ يشبَّ الحريق في العالم كله ، فأين موضع التفاؤل بالمستقبل ولماذا لا نكون متشائمين ؟

يقول (رسل) في كتابه (الطموحات الجديدة) . (انّ العصر الحديث ، الذي تواءمت فيه الحيرة والذهول والقلق ، مع الضعف والعجز ، وقد شملت هذه الحالة التعيسة الجميع ، فنرى بأنّنا نسير إلى حرب لا يرغب فيها أيُّ واحدٍ منا ، حرب يعلم جميعنا بأنّها سوف تقذف بالقسم الأعظم من البشر إلى العدم والفناء ، ونحن كالأرنب المذعور الذي يقف

مصعوقاً امام الحية ، ننظر بفزع إلى الخطر الهائل الزاحف الينا ، ولا ندري ماذا نعمل لنوقفه عندَ حدّه .

ونسمع باستمرار حكايات القنابل المدمِّرة ، الذرّيـة والهيدروجينية ، والمُدُن التي سُوِّيت مع التراب بفعل هذه القنابل ، ونسمع بخيول الجيش الروسي ، ونتناقل فيما بيننـا أحاديث المجاعات والجرائم الوحشية ، ولكن ، رغم ان العقل يفرض علينا ان نرتجف من المستقبل المخيف ، لأنّ جزءاً من وجودنا يلتذ به ، وبذلـك يحدث جرح عميق في روحنا ويمزّقها إلى قسم سليم ، وقسم غير سليم ، ولكن رغم ذلك لا نتّخذ قراراً حاسماً للوقوف بوجهه) .

ولكن هل يتمكن البشر أنْ يتخذ مثل هذا القرار الحاسم ؟

ويقول رسل أيضاً : (ان تأريخ نشأة الانسان طويلٌ ، ولكنه بالنسبة لعمر الأرض ، قصيرٌ جدّاً ، فانّهم يعتقدون بأن عمر الانسان ، مليون سنة فحسب ، ويعتقد الكثير ومنهم انشتاين ، بانّ الانسان ، قد طوى المراحل المقدّرة لحياته ، ولا تمضي الا سنوات قليلة ، ليبيد نفسه ويقضي عليها بقُدُراته العلمية نفسها) .

انّنا لو اعتمدنا على العوامل الظاهرية فحسب ، للحكم ولتقييم الأشياء ، فإنّ هذا التنبّؤ بدمار الأرض صحيح .

وانّ الايمان المعنوي ، الايمان بالامدادات الغيبية ، وان للعالم رباً يحميه هو وحده الذي يحوّل هذا التشاؤم إلى التفاؤل ، وهو الذي يخلق الاطمئنان والايمان ، بأنّ السعادة والتكامل ، والحياة الانسانية ، والحياة الحرّة الكريمة ، والامن ، هي التي تنتظر البشرية في المستقبل .

انّنا اذا تقبلنا هذا التشاؤم ، واعتقدنا بهذا المستقبل الرهيب ، الذي يتنبأ به هؤلاء ، فسوف يكتسب الوضع هيئة مضحكة غريبة ، فان مثل البشر يكون كالطفل الذي يأخذ بالنموّ ، وحين يمتلك القدرة على إمساك السكين ، يمسكها ، ثم يطعن بها نفسه وينتحر ، ولم ينتفع من وجوده أبداً .

فانهم يقولون ، بأنّه قد مرّ على عمر الأرض (٤٠٠٠٠) مليون سنة ، ومرّ على عمر الانسان ما يناهز المليون سنة ، فاذا فرضنا ان عمر الارض سنة واحدة ، وقد مرّ عليها ثمانية أشهر ، لم يوجد فيها أيّ كائن حيّ ، وفي الشهر التاسع ظهر أوّل كائن حي بصورة بكتريا ، أو جرثومة صغيرة ، ذات خلية واحدة ، وفي الاسبوع الثاني من الشهر الأخير من هذه السنة ، ظهرت الحيوانات الثدييّة ، وفي الربع الاخير ، من الساعة الاخيرة ، من اليوم الاخير من تلك السنة ظهر الانسان ، وبعد مروره بمراحل التوحش والغابية ، يأخذ بالتطور والتكامل ، ويصل إلى الدقيقة الاخيرة من تلك السنة .

في هذه الدقيقة الاخيرة تتفتق مواهب الانسان واستعداداته ، ويعمل العقل والعلم البشري عمله المثمر ، وينتج هذا التمدّن العظيم ، في هذه الدقيقة الاخيرة ، يتمكن الانسان ان يُثبت بأنّه خليفة الله .

ولكن اذا قلنا : بأنّ الانسان في هذه الدقيقة الأخيرة ، التي يصل فيها إلى هذا التقدم العلمي الكبير ، يقضي على نفسه .

إذا قلنا : بأنّ الانسان سيحفر قبره ، بيد قدراته العلمية نفسها ، وليس هناك إلّا خطوات ويسقط في قبره ، اذا كان هذا الانتحار الجماعي ، هو المصير الذي ينتظر البشر ، فحينئذٍ لا بُدّ ان نقول بأنّ ايجاد مثل هذا الوجود وخلقه كان عبثاً وجزافاً .

أجل . . انّ الانسان المادي لا يفكر إلّا بهذه الطريقة ؛ واما الانسان الذي نشأ وترعرع ، في احضان التعاليم الالهية ، فانّه لا يفكر بهذا الاسلوب ، انه يؤمن بأنّ العالم لا يمكن ان يسقط في أيدي حفنةٍ من المجانين ، وهو يعتقد بأن العالم وان وقف اليوم على حافة الخطر ، لكن الله الذي انقذ البشرية في العصور السابقة ، بين فترة وأخرى ، وارسل المصلح والمخلص من عالم الغيب ، سيقوم بمثل هذا العمل في الظروف الصعبة التي تمرّ بها البشرية ، بعد ذلك ، هو يؤمن بأنّ أعمال العالم لا تصدر عبثاً ، هو يؤمن بأنّ المصير الرهيب ، والنهاية المفزعة التي

يتصورها المادي لو تحقّقت ، فانها تتنافى وحكمة الله وعنايته .

إذ مقتضى الحكمة والعناية أيصالُ كُلِ ممكنٍ لغاية

كلا ، لم يصل عمر العالم لنهايته ، فإنّنا لا زلنا في بداية الطريق ، إنّ البشرية تنتظر الحكومة القائمة ، على العقل والحكمة والخير والسعادة والأمن والرفاه والوحدة العالميّة الشاملة ، الدولة التي يحكمها الصالحون ، ويتحقق فيها انتخاب الأصلح بمفهومه الصحيح ، انه يوم السعادة والنور .

(واشرقت الأرضُ بنور ربها) ؛ انّه اليوم الذي يقول حوله الحديث الشريف ، (إذا قام القائم حكم بالعدل ، ارتفع في أيّامه الجور ، وأمنت به السبل ، واخرجت الأرض بركانها ، ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا بره ، وهو قوله تعالى والعاقبة للمتقين) .

فبدلاً من أنْ نجلس يائسين ، ذاهلين ، يمزّقنا القلق والتوتر ؛ ونقول : بانّه قد انتهى عمر البشر ، ولم تبق الا خطوات للقبر الذي حفره الانسان بيديه ، وسوف تنقضي الايّام السعيدة .

بدلاً من ذلك كله ، يجب أن نزرع التفاؤل في نفوسنا ، فنقول بأنّ هذا الظهور ، كما في التجارب السابقة ، التي مرّت عليها البشرية لم يتحقّقِ الا بعد الشدائد

وان الفرج يكون دائماً بعد الشدة ، والبرق دائماً يبرق في الظلام .

يقول الامام علي (ع) حول ظهور المهدي الموعود :

حتى تقوم الحرب بكم على ساق ، بادياً نواجذها ، مملوءةً اخلافها ، حلواً رضاعها ، علقماً عاقبتها ، الا وفي غد ـ وسيأتي غد بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمالها ، على مساوي أعمالها وتُخرج الأرض له افلاذ كبدها ـ وتلقى اليه سلماً مقاليدها ، فيريكم كيف عدلُ السيرة ويحيي ميِّت الكتاب والسنة) .

الامام أمير المؤمنين (ع) يتحدّث في هذه الخطبة عن مستقبل قاتم رهيب ، يتحدّث عن الحروب الوحشية ؛ ولكنه يبشّر بالفجر بعد هذا الليل المظلم ؛ ويقول القرآن الكريم : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾[1] .

أجل ، انّ هذه هي فلسفة المهدوية ، ففي الوقت الذي ستحدث فيه الهزّات الشديدة ، والمذابح والجرائم ، والمآسي الدامية ، ولكن ، رغم ذلـك سيظهر الفجر ، وستصل البشرية إلى الغد الذي يفيض سعادة ، حيث سينتصر فيه العقل على

---

(١) سورة الانبياء ، آية ١٠٥ .

الجهل ، والتوحيد على الشرك ، والعدالة على الظلم والسعادة على الشقاء ، وهذه هي البشارة .

(اللهم إنا نَرغب اليك في دولةٍ كريمةٍ تعزّ بها الإسلام وأهله ، وتذلّ بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك ، والقادة إلى سبيلك ، وتُرزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة) .

القيادة والادارة في : الاسلام

قال تعالى :

﴿ واذ إبْتَلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فَاَتَمَّهُنَّ قالَ إنّي جاعِلُكَ للناسِ إماماً ، قال : ومِنْ ذُرّيتي ، قال لا يَنالُ عَهْدي الظالمين ﴾[1] .

الرشد في المصطلح الاسلامي

لأجل التعرّف على الإدارة والقيادة في الاسلام ، يلـزم علينا في البداية أنْ نتعرف ، على مفهومين من المصطلحات الاسلامية .

الأوّل : الرُّشد وهو إصطلاح تذكره الكُتب الفقهية بالخصوص وقد استُمِدَّ من القرآن الكريم .

والثاني : وهو الأَهمّ مفهوم (الإمامة) .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٢٤ .

(الرشد) كلمةٌ اقْتُبِسَت من القرآن الكريم ، واستعملها في الأطفال الذين يمتلكون ثروة ، ولكن لاوَليّ لهم .

فذكر بأنّه لا بُدّ من جعل القيّم عليهم إلى سنّ البلوغ ، لادارة شؤونهم وثروتهم ، فلا تبقى هذه الثروة تحت تصرفهم ، فالبلوغ شرط ولكنه لا يكفي لوحده ؛ بل لا بدّ من الرشد ايضاً .

يقول القرآنُ الكريم : ﴿ . . . **حتى إذا بلغوا النكاح فإنْ آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم** . . . ﴾[1] ؛ أي انّ البلوغ الجنسي لا يكفي لوحده ؛ بل ، لا بُدّ من الوصول لرشدهم ، كشرطٍ لايداع الثروة في ايديهم .

ومن المسلّمات الفقهية : انه لا يكفي في الزواج البلوغ والعقل فحسب بالنسبة للولد والبنت كليهما ، بل ، لا بد بالاضافة إليهما ، أنْ يتّصف الولد أو البنت بميزة (الرشد) .

والعقل غير الرشد ، فالانسان إمّا أنْ يكون عاقلاً أو مجنوناً ، والعالقل إمّا ان يكون رشيداً أو غير رشيد ، فالعاقل البالغ قد يكون رشيداً وقد لا يكون رشيداً .

والملاحظ ان الذي يُفهم اليوم من مفهوم الرشيد ، في أذهان البعض ، هو الرشاقة ، فإذا كان الانسان رشيقاً ، حسن

---

(١) سورة النساء ، آية ٦

المظهر يقال له (رشيد) ، وهذا المفهوم غريب عن المصطلح الاسلامي الأصيل ، دخل في الأذهان نتيجة الفهم السيّء للمفاهيم الاسلامية .

تعريف الرّشد

إذا أردنا تعريف الرشد تعريفاً شاملاً لجميع أنواعه ، وفي مختلف المجالات فلا بُدَّ أن نقول بأنّه : عبارة عن نوع من الكمال الروحي والمعنوي ، بمعنى ان تكون للانسان قدرة الادارة والمحافظة على امكاناته وطاقاته الماديّة والمعنوية ، وحسن الانتفاع بها .

فالانسان الذي يمتلك وظيفةً ما ، في أيّ مجالٍ من مجالات الحياة ، وله القدرة على المحافظة عليها ، والاستفادة الصحيحة منها ، فيقال لهذا الشخص انّه (رشيد) .

ولا ينحصر ذلك في المجال المالي ؛ بل ، يشمل مختلف المجالات كإدارة الزوجة والأولاد فإنّها من المجالات التي يلزم عليه إداراتها والمحافظة عليها .

الرّشد الإجتماعي والشعبي

لا ينحصر الرُّشد بالفرد ، ففي المجتمعات والشعوب توجد إمكانات وطاقات طبيعية وإنسانية وعلمية وأمثالها ، قد أودِعت بأيدي الشعوب .

وهذا الرشد يعني : قدرة الشعب والمجتمع على الادارة ، وحسن الانتفاع من هذه القُدرات المادية والانسانية ، ويُقال لمثل هذا الشعب : أنّه (رشيد) .

والادارة والقيادة التي نبحث عنها ، تُلازم نوعاً من الرشد ؛ إذا القيادة عبارة عن تعبئة القوى الانسانية والاستفادة الصحيحة منها .

ولاجلِ توضيح هذه الفكرة أكثر ، أضربُ مثالين للرّشد الشخصي الفردي ، على ضوء ما ذكرناه من تعريف الرشد ، وانه عبارة عن القدرة على الادارة ، والقدرة على الانتفاع الصحيح من الطاقات .

الرّشد الفردي والاخلاقي

النوع الأول من أنواع الرشد ، الرشد الفردي والاخلاقي .

وهنا يبرز سؤال :

هل يتمكن أكثر الأفراد أنْ يُديروا طاقاتهم وامكاناتهم وأنْ ينتفعوا بها ؟ كلا ، فالقليل هم الذين يتمكّنون من الاستفادة الصحيحة من المواهب والامكانات الكامنة في الانسان .

إدارة الذّاكرة

المثال الأول : يدور حول القوى الادراكية للانسان ؛ فإنّ

الافراد يختلفون فيما بينهم ، من حيث الفهم والادراك ، وقوة الحفظ والذاكرة .

والانسان الرشيد ، هو الذي يمكنه الاستفادة الصحيحة من ذاكرته .

وأمّا غير الرشيد ، فيمكن أن تكون له ذاكرة قوية جداً ، ولكن لا يمكنه الانتفاع منها واستثمارها ؛ بل يتصور ان الذاكرة مستودع يجب ملؤه بكُلّ شيء وبكل ما يعثر عليه كمستودع البيت الممتلىء بكل شيء ، حتى بالاشياء البيتية الزائدة وبصورة غير منظّمة .

وأمّا الانسان الرشيد ، فيفكّر حول الأمور التي يملأ بها ذاكرته ولا ينتقي منها إلاّ الجيد المفيد ، انّ ذاكرته مقدّسة ، ولا يجدر به ان يملأها بأي شيء ، فيلاحظ أولاً أي شيء يفيده ، وأيّ شيء لا يفيده ، وهناك من الأمور ما يفيد وما مقدار فائدته ، ويصنع قائمة لكل هذه الامور ، ثم بعد ذلك ينتخب ما هو أكثر فائدة لذاكرته ، ويعتبرها كالامانة التي يلزمه المحافظة عليها ، فيجب ان يتعرف ذهنه على المسائل العلمية أوّلاً وبصورة دقيقة وواضحة ، ثم بعد ذلك ينقلها لذاكرته .

ومثاله الواضح : في قراءة الكتاب ، فإنّ الانسان تارة يطالعه مرة واحدة قراءة عابرة لأجل الالتذاذ به ، ولكن بهذه

القراءة الخفيفة ، لا يتمكّن من تقييم محتويات الكتاب ، فيجب ان يقرأه مرة ثانية .

وكل ذاكرة ، مهما كانت قويةً ، تفتقر إلى قراءة الكتاب الجدير بالقراءة ، مرتين على الأقل ، وبصورة متوالية ؛ وبعد ذلك يحاول التحقيق حول كل فكرة من ذلك الكتاب ، وتمحيصها وتحليلها ، وملاحظة المطالب التي سيحتفظ بها في ذاكرته .

ثم بعد ذلك يحاول ان يقرأ كتاباً آخر في نفس الموضوع ، الذي يدور حوله الكتاب السابق ، حتى لا يمتلىء ذهنه بموضوعات متعدّدة ، متباينة وبصورةٍ غير منظمة .

وهنا يحاول قدر الامكان ، ان يملأ ذهنه ، بما لَه علاقة بالموضوع نفسه ، ليكون أكثر تعرفاً عليه ، وأكثر ترسيخاً في ذهنه .

فمن الخطأ أنْ يقرأ كتاباً ، وقبل التعرّف على محتوياته ومضامينه ، والتحقيق حولها وهضمها ، ينتقل لكتابٍ آخر ، يختلف عنه في موضوعه ، فيقرأ في هذا اليوم كتاباً في التأريخ ، وغداً كتاباً في الفلسفة ، وبعد غدٍ كتاباً في العلوم الدينية ، وهكذا ينتقل في كل يوم من كتابٍ إلى آخر ، فيختلف عنه في الموضوع حيث تختلط الافكار في ذهنه .

الانسان الرشيد يبحث في الكتب المفيدة له ، ويجمعها ،

ويكرِّر قراءتها ثم يلخصها ، وهذه الخلاصة يودعها في ذاكرته ، ثم بعد ذلك ينتقل لموضوع آخر .

ومثل هذا الفرد ، حتى لو كانت ذاكرته ضعيفة ، لكنه رغم ذلك ، اكثر استفادة وانتفاعاً من الشخص المتخبِّط في قراءاته ، وإنْ كان قوي الذاكرة .

ويكون مثله كالشخص الذي يمتلك مكتبة منظمة في موضوعاتها ، وتوزيع كتبها ، حيث يتمكّن وبلحظة واحدة ، أنّ يتعرّف على موضع أيّ كتاب ؛ ولكن هناك مَنْ يمتلك مكتبة كبيرة ، واسعة وكتباً كثيرة ولكنها نتراكمة غير منظمة ، لا يستطيع العثور على كتاب واحدٍ إلاّ بعد ساعتين .

هذا ، هو المثال الأوّل للادارة الصحيحة وغير الصحيحة في الاستفادة من إحدى القوى العقلية للانسان .

الرشد في العبادة

والمثال الثاني : يدور حول (العبادة) ؛ ولا بدّ أن نعترف بأنّنا نجهل الطريق إلى العبادة ، أي أنّنا لا نستطيع أن ندير أنفسنا عباديّاً ، بصورةٍ صحيحة .

انّ العبادة الصحيحة هي التي تجذب الروح ، وتغذّيها التغذية الصحيحة ، وليست الكثرة هي المقياس للعبادة ، كما هو الامر في الطعام ، حيث لا يكون الغذاء الاكثر هو الافضل ؛

وكذلك العبادة فانها لا بدّ ان تتلاءم مع نشاط الروح وأشواقها .

ولا اعني بذلك : أنْ يكون للانسان شوق مسبق ، حتى يقدم على العبادة ، فإنّ الكثير من الافراد ، لا يمتلكون مسبقاً شوقاً للعبادة ، ولكن حين ممارسة العبادة ، سوف ينبثق بالتدريج في أعماقهم الشوق والنشاط ، والأنس بذكر الله .

إذن ، فوعاء الانسان للعبادة محدود ، ولنفرض انّه كان يمتلك شوقاً للعبادة ، واقدم على ممارستها بنشاط ، ولكن بعد مدة من ممارستها ، سيشعر بالتعب ، ويتضاءل شوقه ونشاطه وتكتسب العبادة صفة التحميل والتكليف ويكون كالطعام الذي لا يلائم مزاج الانسان ، حيث يكون رد الفعل من البدن تجاهه ، هو التقيّؤ والاستفراغ ، أو دفعه بأيّ وسيلةٍ أخرى ، على العكس من الغذاء الملائم ، الذي يكون ردّ الفعل تجاهه ، هو جذبه والتشوّق إليه ، وهضمه .

ويخاطب النبي (ص) جابر بن عبد الله الانصاري : « يا جابر ، ان هذا الدين لَمَتين ، فاوغل فيه برفق ، ولا تبغّض إلى نفسك عبادة الله » ؛ أي انّ دين الاسلام دين مستحكم منطقي ، يبتني على أسس نفسيّة واجتماعية عميقة ، فلا بد أنّ لا تدع نفسك ، تتنفّر من العبادة وتحقد عليها ، فمارس العبادة

بصورة تميل معها النفس للعبادة ، وتنجذب وتندفع بشوق اليها .

ويضيف (ص) بعد ذلك : (فان المنبتّ ، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) ؛ انّ الراكب الذي لا يعتني بمدى قدرة الجمل ، بل ، انّه يضربه بالسوط دائماً ، ويدفعه إلى طي المنازل والمسافات بسرعة ، وبمسيرة واحدة ، دون ملاحظة المراحل ، ويعتقد بانّه بهذه الطريقة الخشنة ، سوف يصل إلى هدفه بسرعة، ولكن ، الامر ليس كذلك ، فإنّه خلال الطريق ستخور قواه من شدّة التعب ، وأوجاع السوط ويسقط .

والنبي (ص) في حديثٍ آخر يقول : (طوبى لمن عشق العبادة وعانقها) . يريد أنْ يقول : بأنّ الشخص الوحيد الذي يتمكّن من اقتطاف الثمرات العالية للعبادة ، هو الذي يؤدّي عبادته بصورة يندفع معها القلب بكل شوق ورغبة .

فالممارسة الصحيحة للعبادة ، والاستفادة من نعمها الثّرة ، لها علاقة وثيقة بحسن الادارة والقيادة وهذه المهمة يؤديها من تمكن من قيادة نفسه ومشاعره وعواطفه وغرائزه ، وبالتالي قلبه ، قيادة حيكمة ، رشيدة ، فإنّ القلب والعاطفة والمشاعر تحتاج إلى القيادة الحكيمة أكثر من أيّ شيءٍ آخر ، والآن نرجع إلى القيادة الاجتماعية في المجالات الاجتماعية .

الامامة والقيادة

قلنا أنّ الرشد يعني : القدرة على الادارة والقيادة ، وحين يريد الانسان ادارة الآخرين وقيادتهم ، اي حين يكون موضوع الرشد هو قيادة الآخرين ، فينطلق على هذا النوع من الرّشد : (الهداية) ، وبتعبير أوضح : (الامامة) .

واللفظ الذي يعبر عن لفظة الامامة بصورة دقيقة هو (القيادة) ، والفرق بين النبوة والامامة ان النبوة تعني الدلالة وإراءة الطريق ، بينما الامامة تعني : القيادة ؛ النبوة ابلاغ واخبار ، واتمام الحجة وإراءة الطريق وكشفه فحسب ، ولا تتعدى مهمّة النبي ذلك ، ولكن البشر يحتاجون إلى القيادة بالاضافة لكشف الطريق والدلالة عليه .

أي : ان البشرية تحتاج إلى بعض الافراد ، أو إلى فئة معيّنة ، تقوم بمهمة تعبئة القوى الانسانية ودفعها للعمل والحركة وتنظيمها ، النبوة كشف الطريق وهو منصب خاص ، بينما الامامة منصب آخر ، والانبياء الكبار امثال ابراهيم وموسى وعيسى ونبينا (ص) ، قد جمعوا كلتا الميزتين ، وكانوا أنبياء وائمة ، وأما الانبياء الصغار فكانوا انبياء فحسب ولم يكونوا أئمة والقرآن الكريم يؤكد على هذه الفكرة كثيراً وكذلك الأحاديث الشيعية .

ولا بدّ أنّ نلاحظ بانّ القيادة التي يبحث عنها القرآن

الكريم أسمى من القيادة والزعامة التي يفهمها البشر ، إنّ القيادة التي يفهمها البشر لا تتجاوز الزعامة المعنوية ، المتجهة نحو الله ، بالاضافة إلى القيادة الاجتماعية والقيادة المعنوية ، وهذه أعمق بكثيرٍ من القيادات الاجتماعية كلها ، وليس هنا موضع بحثها .

إبراهيم القائد والامام

للقرآن الكريم حول ابراهيم كلمات تثير الدهشة : ﴿ **وإذابتلى ابراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهن قال اني جَاعِلُكَ لِلناسِ إمَاماً . . .** ﴾[1] .

فإنّ الله امتحن ابراهيم بالكثير من التجارب والابتلاءات ولكن ابراهيم خرج منها ظافراً .

ان ابراهيم (ع) من الأنبياء الذين مرّوا بتجارب ومِحَن عديدة ، وعاش حياةً صعبةً ، ولكنه رغم كل هذه المشاقّ والمتاعب كان ناجحاً في رسالته .

لقد بُعث في بابل ، وواجه وحده ، ذلك الحشد الهائل من العقائد ، والخرافات الغبيّة الجاهلية ، والشرك السائد ، وحاربه ، وقد حطم كل الاصنام الا الكبير منها ، ثم علّق المعول برقبة الصنم الكبير ، لأجل أن يتخيّل الناس انه قد نشب

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٢٤ .

عراك وصدام بينها ، وانتصر الكبير عليها .

وقد استهدف ابراهيم من هذا العمل ، أنْ يُوقظ القوى العقلية الفطرية ، التي يحاول الناس خنقها والضغط عليها .

فإنّ الانسان يدرك بفطرته ، ان الجمادات لا يمكن ان تتنازع وتتصادم فيما بينها ، ومن هنا يرجعون إلى انفسهم ، ولماذا يخضع الانسان العاقل المدرك ، لمثل هذه الموجودات التي لا تشعر ولا تدرك ؟

وقد أشعل ابراهيم بعمله هذا حقد نمرود وغضبه عليه ، ووصل الأمر إلى أنْ يأمر القائد بالقائه في تلك الهوة ، بل ذالك البحر الكبير الواسع من النار ، ولكن لم يهدأ ابراهيم ولم يسكت عن دعوة الناس إلى رسالته .

لقد كان ابراهيم يعيش حياة قاسية ، فهو من جانب في صراع حادّ مع العقائد الخرافية المنحطة ، ومن جانب آخر في صراع مريرٍ مع نمرود ، حيث وصل الامر إلى القائد بالقائه في النار .

وفي غمرة هذا الصراع وشدّته ، واجهته تجربة إلٰهية مريرة ، فقد جاءه النداء من الله ؛ ان يذبح ولده العزيز بيده ، هذا الأمر الالهي الذي لا يمكن إلّا الاستسلام والخضوع له ، وقد خضع بالفعل لهذا الأمر ، وصمّم على تنفيذه ، ولكن في

اللحظة الاخيرة ، صدر اليه الامر ان لا يذبحه ، بعد أنْ قدّم الدليل الحي على مدى استسلامه وخضوعه للأمر الالهي .

وبعد أنْ طوى ابراهيم هذه المراحل والابتلاءات ، بظفرٍ ونجاح ، أخبره الله تعالى بأنّه قد استحق منصب الامامة ، فارتقى من النبوّة والرسالة إلى الامامة .

وهناك حديث حول ذلك : (. . . انّ الله اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبياً ، واتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولاً واتخذه رسولاً قبل ان يتّخذه خليلاً ، واتخذه خليلاً قبل ان يتّخذه إماماً . . .)[1] .

وبذلك يتضح معنى الآية : ﴿ **وإذْ ابتلى ابراهيمَ ربُّهُ بكلمات فأتَمّهن قال انّي جاعلك للناسِ إماماً** . . ﴾ ، أي : بعد ان أتّم ابراهيم تلك المراحل ، وخرج من جميع الابتلاءات والمحن ظافراً ، حينئذٍ جعله الله اماماً .

ان الامامة وقيادة البشرية وزعامتها ، سواء في بعدها المعنوي الالهي ، أو في بعدها الاجتماعي ، هي أرفع المناصب التي يمنحها الله للانسان ، وهكذا كان ابراهيم فكان نبياً وكان إماماً وزعيماً لقومه .

---

(١) أصول الكافي : ١ / ١٧٥ ؛ كتاب الحجة باب طبقات الانبياء والرسل والأئمة « ع » ح ٤ .

وكما ذكرنا ان الانبياء الكبار يمتلكون كلا المنصبين ، النبوّة والامامة ، وأما الانبياء الصغار ، فإنّهم أنبياء فحسب ، ولم يكونوا أئمة .

وأمّا أئِمّتنا الاطهار ، فكانوا يمتلكون منصب الامامة ، ولم يكونوا أنبياء إذ أنّ طريقهم نفس الطريق الذي رسمه النبي (ص) ؛ إنّهم يدعون إلى نفس الرسالة ، ويعّبئون القوى ، ويأخذون بأيدي البشر في نفس الطريق ، الذي دعا اليه النبي (ص) .

وعالمنا اليوم ينظر لمسألة الامامة ، من خلال بعدها الاجتماعي فحسب ، فلا يعرف إلاّ هذا الجانب منها ، ولكنه يهتمّ إهتماماً كبيراً بها ، وله الحق في ذلـك ، فإنّ الانسان يحتاج للقيادة في طبيعته ، وقيمة القيادة والزعامة وأهميتها تبتني على ثلاثة أصولٍ وأسس :

١ ـ أهمية الانسان والقوى المودعة فيه

هذه القوى والكنوز الكامنة في الانسان ، والتي لم يتنبّه اليها الانسان عادة ، والاسلام قد اهتمّ كثيراً بمسألة توجيه الانسان ووعيه بنفسه ، ومنزلته الكبيرة ، وبأهميّة القوى الكبيرة الكامنة فيه .

والقرآن الكريم يصرّح في الكثير من آياته ، بأنّ الله تعالى

حين خلق آ دم ، أمر الملائكة أنْ تسجد له ، وانّ الانسان أعرف بالاسماء من الملائكة انفسهم ، وانّ كل ما في الأرض قد خُلق لأجل الانسان ولمصلحته .

قال تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً . . ﴾[1] ، و ﴿ . . . سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض . . . ﴾[2] ، ففي الرؤية القرآنية يُعتبر الانسان أرفع الموجودات جميعاً وليس هو قبضة من ماءٍ وتُرابٍ فحسب .

٢ ـ التعاون بين الانسان والحيوان في القيادة

انّ الانسان وإنْ كان من جنس الحيوان ، إلّا انه يختلف عنه من حيث الغرائز وطبيعتها ، فهو أضعف من الحيوان في هذا المجال ، فإنّ الحيوانات مجهّزة بمجموعةٍ من الغرائز ، ولا تحتاج لقيادة خارجية تديرها وتوجّهها ، فانّ غريزتها تقود نفسها بنفسها ، فالنملة مجهّزة بمجموعةٍ من الغرائز ، تتمكّن بواسطتها انْ تُدير دفّة حياتها بصورةٍ غريزية ، والامام علي (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة ، يصف النملة وأجهزتها ، وغرائزها الحياتيّة ، والحشرات الأخرى كذلك .

والانسان ، وإنْ كان أكثر تجهيزاً بالقوى والقدرات من

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٩ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٠

سائر الموجودات الا انه إذا كان مُقدراً له أنْ تكون مهمة قيادته وادارته على عاتق غرائزه ، لكانت الغرائز التي يلزم توافرها فيه ، أكثر بكثيرٍ من غرائز الحيوان .

ولكنه رغم ذلك ، هو اكثر فقراً أو عجزاً من جميع الموجودات لافتقاره للغرائز الداخلية التي تقوده ، وتوجّهه بنفسها في طريق الحياة ؛ ولذلك احتاج للقيادة والتوجيه من الخارج .

وهذه هي الفلسفة لبعثة الانبياء ، والهدف منها ، إنّهم بعثوا من أجل تربية هذه الغرائز ، والقوى البشرية ، وتوجيهها الطريق المستقيم ، فانّ فلسفة البعثة تعتمد في اساسها على حاجة البشر للقيادة والتوجيه .

فان البشر وان كان مجهـزاً بالكثير من القُدرات والقوى ، ولكنه في نفس الوقت جاهل بقدراته وبذخائره الثرة ، فلا يعرف ما يمتلكه ولا يعرف كيف يستخدم ممتلكاته ، ويستفيد منها الاستفادة الصحيحة ، ويقودها القيادة الحكيمة ؛ لذلـك احتاج للقائد والموجّه الذي يرسم له الطريق ، وينظّم طاقاته وقدراته ، ويحرّره من أغلاله ويحثّه على الحركة والعمل .

٣ ـ القوانين الخاصة في الحياة البشرية

هناك مجموعة من القوانين والاصول حاكمة بسلوك البشر وأعماله ، وإذا اراد أحد ، انْ ينصب من نفسه قائداً وزعيماً

للبشر ، فلا يتيسّر له ذلك الا إذا تعرّف على هذه القوانين المتحكمة في حياة البشر .

إنّ الانسان موجود مجهّز بمجموعة من القوى ولكنه مفتقر في طبيعته لقائدٍ وموجّه ، يرسم له طريق العمل بهذه القوى ، ويحثه على العمل وفقها .

هو موجود خاضع في قيادته ، وتوجيه دفّة حياته ، واثارة قواه ، وتحفيزها على العمل والانتفاع منها ، إلى مجموعة من القوانين الدقيقة جدّاً ، ومعرفة تلك القوانين هي مفتاح السيطرة والنفوذ إلى قلوب البشر .

وللقرآن الكريم ، تعبير يثير الدهشة ، حول النبي (ص) حيث يقول : ﴿ **الذين يتّبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرمّ عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم . .** ﴾[1] .

ولكن ما هي هذه الاثقال والاغلال ؟ هل هي اثقال من صخرٍ ، وأغلال من حديد ، أو من خشب ؟ كلا .

انّ هذه الاثقال هي الخرافات والتقاليد ، والاغلال هي

---

(١) سورة الاعراف ، آية ١٥٧ .

من نوع الاغلال الروحية ، التي كبَّل بها الانسان قواه واستعدادته وطاقاته المعنوية الزاخرة ، وهي التي أدّت إلى كل هذا الجمود ، والشقاء واليأس في البشرية .

والنبي (ص) يُطلق سراح هذه القوى المقيدة الأسيرة ؛ والقيادة والادارة الاجتماعية : تعني ذلك .

انّها تحرير تلك القوى واطلاق سراحها وبثّ الحركة والنشاط فيها ، وفي نفس الوقت الأخذ بيدها ، لتسير في مسارها الصحيح المستقيم ، بخطواتٍ متّزنةٍ مطمئنّة .

إنّ القيادة الحكيمة ، والادارة الصحيحة المثمرة ، تجعل من أضعف الشعوب أمّةً قويَّة، تفوق في قوتها سائر الأمم والشعوب ، والنبي (ص) قد قام بذلك ، الذي هو معجزة في نفسه .

مصادر لدراسة القيادة في الاسلام

والحديث في هذا المجال طويل عريض ، وإذا أردنا أنْ نتعرّف على مدى علاقة الاسلام بالقيادة والادارة ، فإنّ ذلك يتمّ من خلال مصدرين .

١ ـ القراءة العميقة لسير الانبياء والأولياء .

يلزم علينا : ان نقرأ سير أولياء الدين وقادته ، قراءةً عميقةً ، وبالخصوص سيرة النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع) ؛

فانّه لو تعرّف الانسان على أساليبهم في هذا المجال ، يدرك مدى تطابقها وتوافقها مع الأصول الدقيقة للقيادة والادارة الحكيمة ، والمنجزات العظيمة التي توصّلوا إليها من خلال هذه القيادة الحكيمة، تلك التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم كُلّه لقد حقّقوا هذا النجاح المدهش ، لأنّهم كانوا يمتلكون مفتاح السرّ ، انّهم قد بعثوا من قبل الله ، والله خالق الانسان ، وبيده مفتاح سِرّه .

يلزم علينا أنْ نقرأ بدقّةٍ وعمق ، سيرة النبي (ص) في مختلف المجالات ، في قيادة الجيش ، وفي ادارة دفّة السياسة ونشر الاسلام ، وسيرته مع اعداء الدين ، مع المشركين ، مع أهل الكتاب ، وسلوكه في بيته مع أسرته ، وغيرها ؛ ففي كلّ واحدةٍ منها عِبَر ودروس لنا .

انّ السيرة العملية للنبي (ص) ، في الادارة والقيادة ، تُرشدنا إلى الكثير من التعاليم الحيّة ، في هذا المجال ؛ انّها بلغت القمة في دراسة النفس الانسانية ، وفي معرفة الطبيعة البشريّة .

لقد أرسل (ص) معاذ بن جبل إلى اليمن ، لأجل دعوة الناس ، وارشادهم إلى الدّين ، وتولّي شؤون اليمن ؛ وألقى على سمعه هذه التعاليم التي تعتبر منهاج عملٍ لِكُلِ واحد منّا ـ مع انّ اكثرنا يعمل على خلافها .

يقول (ص) : (يسِّر ولا تعسِّر ، بشِّر ولا تنفِّر ، وصلِّ

بهم صلاة أضعفهم) ؛ فلا يُمكن ادارة المجتمع وقيادته بالشدّة والعنف ، ولا بـدَّ أنْ نبشِّر الناس بالمزايـا والثمرات الدنيوية والاخروية للاسلام وترغيبهم وكسب قلوبهم ، حتى تخفق في قلوبهم الرغبة لهذا الدين ، وعدم مواجهتهم بأسلوب التخويف والترهيب ، لأنّه يؤدي لنفرة الناس ، وابتعادهم عن الدين ؛ ولا بدَّ من مُراعاة أضعفهم حين الصلاة جماعة ، ففي المؤمنين المصلين عليل ومريض ، وفيهم من كان جديد عهد بالصلاة .

وهناك وظائف خاصة للزعيم والقائد ، فإنّ القائد له مركزه الاجتماعي الخطير ، فعليه استمالة القلوب ، وقيادتها وتعبئة قواها ، فهناك بعض الوظائف والمهمّات الملقاة على عاتقه ، والمختصة به لا يطالب بها غيره ، ولا يطالب بها هو لو لم يشغل هذا المنصب .

ونحن قد سمعنا عن زهدِ الامام أمير المؤمنين (ع) وعن عباداته ، التي ليس لها مثيل ، ولكن هذا الزاهد المتبتّل ، حين زارَ ـ في أيّام خلافته ـ أحد أصحابه وهو علاء بن زيادة ، شكى له اخاه عاصم بن زيادة ، وانّه قد اغرق نفسه بالعبادة والزهد ، وهجر امرأته ولبس ثياباً خشنةً ، فأمر (ع) بإحضاره ، وحين حضر ، واجه ذلـك الوجه الذي أرهقته العبادة ، وانهكه الزهد ، خاطبه بحدة : (يا عدو نفسه . . .)

ولما اعترض عاصم على الامام (ع) ، بأنّه هو بنفسه

يعيش مثل هذه الحياة الشاقّة ، ويُضرب به المثل في الزهد ، أجابه (ع) : انه خليفة وزعيم للأمة الاسلامية ، ويلزم عليه ان يلاحظ اضعف اتباعه ، واشدّ المحرومين من شعبه ، لأنه قائدُ أمّة .

فان زعماء الأمم وقادتهم لهم تكاليف ووظائف مختصّة بهم ، وفي الحديث : (انّ الله فرض على أئمة المسلمين أنْ يقدِّروا انفسهم بضَعَفه الناس ، كي لا يتبيَّغ بالفقير فقرُه) .

يُريد أن يقول : بأنّني زعيم وقائد أمة ولست أنت كذلك ، ولا بدّ أن يمتدّ نظري إلى افراد الأمة جميعهم ، وأؤكد على أكثر الفئات حرماناً ، وبالطبع انّني أرغب في رفع مستواهم الحياتي والمعيشي ، ولكن ، ما دام في البلاد محروم ، فلا يسوغ لي أن ألبس ثياباً اخرى ، غير هذه الثياب التي تستر بدني ، ما دام في البلاد من يأكل خبز الشعير . ويلبس الثياب الخشنة ، فلأنّني خليفة ومسؤول عن هداية الناس وقيادتهم ، فلا بدّ لي من الاحساس بأوجاعهم ، والتجاوب معهم .

لا بـد أنْ اعيش الحياة التي يعيشها أكثر الأفراد حرماناً وفقراً ، وإلّا فللفقير الحقّ في أن يثور ، وينتفض بوجه هذه الحكومة ، ويتعالى صراخه ، بأنّنا نكذب في وعودنا ، وادّعاءاتنا بأننا نفكر فيهم ، ونهتم بشؤونهم ، ولكن الآن ، سوف يطمئن

بأنّنا صادقون ، اذنْ ، فالقيادة والزعامة بنفسها تفرض هذه الحياة التي أعيشها .

وبهذه الفكرة ، وهي ان للقائد بعض الوظائف الخاصّة به ، يظهر السر في اختلاف الأئمة الطاهرين (ع) ، من حيث السلوك الخارجي ؛ فالامام الصادق (ع) مثلاً كان يلبس نوعاً من الثياب ، يختلف عن النوع الذي كان الامام علي (ع) يلبسه ، وهذا الاختلاف يثير السؤال عن السرّ في ذلك .

والجواب ما ذكرناه ، لاختلاف طبيعة القيادة وظروفها ، فإنّ لكل إمام مكانة اجتماعية ، ربما تختلف عن مكانة غيره ، بالاضافة إلى اختلاف الظروف التي عاشها الأئمة (ع) ؛ وقد أشار لهذه الفكرة الامام الصادق (ع) ، في حديثٍ له في هذا المجال ، يُشير إلى هذا المعنى الذي ذكرناه .

٢ ـ التعاليم الاسلامية في القيادة

هذا هو المصدر الثاني ، الذي يمكن التعرف من خلاله ، على شروط القيادة وأصولها في الاسلام ، وهو الرجوع للنصوص الرئيسية ، المتضمنة للتعاليم الاسلامية في هذا المجال .

أمثال ما ذكره القرآن الكريم ، مخاطباً الانبياء عموماً ، والنبي محمد (ص) بالخصوص ، حول أساليب تعاملهم مع مجتمعاتهم ، وكذلك التعاليم الصادرة ، حول الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، وإرشاد الجاهل ، والوعظ والنصيحة ، وكل ما ورد من النصوص حول شروط التبليغ ، والمبلّغ ؛ ونحن لو أردنا ذكرهـا بالتفصيل ، لكان كتاباً كبيراً ، ولذلك نكتفي بهذه الاشارة اليها .

انّ قضايا القيادة ومسائلها ، لها علاقة وثيقة بالنفس البشرية ، فإنّ استمالة النفوس وجذبها ، لتكون مستعدة للالتفاف حول القائد ، والتضحية في سبيل رسالته ، ودفعها باتجاه الأهداف المقدسة العالية ، كل ذلك يحتاج إلى كفاءةٍ كبيرةٍ وقدرات فذّةٍ ، لا تُوجد عندَ كلّ أحد .

واليوم ، وبعد التقدّم الكبير في علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والعلوم الانسانية على العموم ، قد اتّضحت هذه الحقيقة بصورة جلية ، فانّنا حين ندرس سيرة أولياء الله ، وقياداتهم ، نرى بأنّها تتوافق مع أعمق الأسس والقواعد النفسية ، والاصول العلمية الدقيقة ، وقد تمكنوا بواسطة هذه القيادة الحكيمة ، من النفوذ بقوة لاعماق الجماهير ، وضحّى الناس في سبيل رسالتهم بكل ما يملكون .

ولكن ، ما هي شروط القيادة ؟ وهذا حديث طويل ، ونأسف لعدم توفّر الفرصة لدراستها .

شواهد من تأريخ الاسلام

وفي ختام حديثي ، أودّ أن أذكر بعض الشواهد

والامثلة ، من سيرة النبي (ص) والامام الحسين (ع) ، كنماذج حيّة على الآراء التي تعرّضت لها هذه الدراسة ، وكيف أمكن لهذا اليتيم ، الذي حاربه حتى اقرباؤه ، في بداية بعثته ، أنْ يبلغ الذروة التي وصل اليها ، من حيث التأثير والنفوذ ، حتى انّ ابا سفيان ، الرجل المتمدّن ، أو المطّلع على مدنيات عصره ، حين أبصر النبي (ص) عن كَثَب ، وحوله اصحابه : قال : (ما رأيتُ أحداً يُحبه أحدٌ كما يحب هؤلاء الناس صاحبهم) .

وفي حرب تبوك ، حيث حدثت في ظروف عصيبة كان يمر بها المسلمون ، تلك التي يقول حولها التأريخ : (انّ رسول الله (ص) امر اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عسرة الناس وشدة الحرّ وجدبٍ من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم) .

وفي هذه الظروف القاسية ، هدّد الروم كيان الاسلام من الحدود الشمالية ، ورأى النبي (ص) أنْ يُرسل الجيش الاسلامي إلى الحدود الرومية ، وأعلن عن التعبئة العامة ، وحاول المنافقون كثيراً انْ يقفوا بوجه الزّحف الاسلامي ، ولكنهم باؤا بالفشل .

وأمكن للنبي (ص) أنْ يجهّز جيشاً يتألّف من ثلاثين الفاً ، وقد لُقّب هذا الجيش (بجيش العسرة) ، لأجل المتاعب والظروف المرّة التي يعيشها ، ولم تكن للمسلمين خيول كافية ،

فكل اربعة منهم كانوا يشتركون بواحد منها ، وكذلك لم يمتلكوا الغذاء الكافي ، وربما اقتنع الواحد منهم بتمرةٍ واحدة ، بل ربما اشترك اكثر من واحد بتمرةٍ واحدةٍ ولكن ، رغم كل هذه الظروف الصعبة ، اندفعوا للحرب خضوعاً لأوامر القائد .

وكان أبو ذرّ راكباً جملاً هزيلاً ، لذلك تأخرّ عن الركب ، وقد تخلّف عن هذه الحرب ثلاثة أفراد ، فكانوا يقولون للنبي (ص) :

(يا رسول الله تخلف فلان ، فيقول : دعوه فإنْ يكُ فيه خير فسيُلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

حتى قيل : يا رسول الله قد تخلف أبو ذرّ ، وأبطأ به بعيره ، فقال : دعوه ، فإنْ يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك أراحكم الله منه) .

وأبو ذرّ في الواقع لم يتخلف عن الزحف ، ولكن لم تكن لجَمله القدرة على المشي ، لذلك (تخلّف عن رسول الله ص) ثلاثة أيام ؛ وذلك انّ جمله كان أعجف ، فلحق به بعد ثلاثة أيام ، وقف عليه جمله في بعض الطريق ، فتركه وحمل ثيابه على ظهره ، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل ؛ فقال رسول الله (ص) : كأنّ أبا ذرّ ؟ فقالوا : هو أبو ذرّ) .

وحين وصل أبو ذرّ ، كانت ملامحه متغيرة من تأثير الحرّ والجوع والتعب ، كان وجهه مغبرّاً ، وشفته جافة كالخشبة .

وحين نظر الرسول (ص) إلى سحنته وملامحه المرهقة ، رأى بأنّه سيُقضى عليه من الظمأ ؛ (فقال رسول الله (ص) : ادركوه بالماء فانه عطشان ، فادركوه بالماء ؛ ووافى أبو ذرّ رسول الله (ص) ، ومعه اداوة فيها ماء ، فقال رسول الله (ص) : يا أبا ذرّ معك ماء وعطشت ؟ فقال : نعم يا رسول الله ، بأبي انت وأميّ ، انتهيت الى صخرة ، وعليها ماء السماء فذقته ، فاذا هو عذب بارد ، فقلت : لا اشربه حتى يشربه حبيبي رسولُ الله . . .)

وعودة الثلاثة المتخلّفين أيضاً ، لها حكاية مليئة بالعبر ، فانّ المسلمين قد عادوا من تبوك ، دون ان يخوضوا حرباً ، وكان الناس منتظرين ، ما هو القرار الذي سيتخذه النبي (ص) في حقّ هؤلاء الثلاثة ؟ وحين سألوه : عن موقفهم من هؤلاء الثلاثة ؟ أمرهم (ص) بمقاطعة المتخلّفين ، وعدم معاشرتهم والالتقاء بهم ، والتحدّث معهم .

وحين دخل المسلمون المدينة ، تقدّم هؤلاء الثلاثة ، وسلّموا عليهم ، ولكن ، أعرض عنهم المسلمون ، وكلما أرادوا الحديث مع واحدٍ منهم ، أعرض عنهم ، ورجعوا إلى بيوتهم متألّمين .

وحين علمت أزواجهم وأولادهم ، بقرار النبي (ص) استجابوا لندائه ، واتخذوا مع هؤلاء نفس الموقف الذي اتّخذه سائر المسلمين .

وحين حاول المتخلّفون الحديث مع زوجاتهم ، لم يسمعوا منهم جواباً ، وتحدثّوا مع أولادهم ، وأيضاً كان جوابهم الصمت .

وبقي هؤلاء الثلاثة ، وحدهم في المدينة غرباء ذاهلين ، لا يتكلّم معهم أحد وكانت زوجاتهم يطبخن الطعام ثم يضعنه أمامهم ، دون ان ينبسْنَ ببنت شفة .

وضاقت الدنيا في عيونهم ، وشعروا باليأس والتمزّق ، وأدّت بهم هذه الحالة التعيسة ، إلى أن يرجعوا إلى انفسهم ، وان يشعروا بأنّهم قد ارتكبوا خطيئةً وذنباً كبيراً ، ويلزم عليهم أنْ يتوبوا توبةً مخلصةً ليقبلها الله تعالى ، ويخبر نبيّه بذلك ، ثم يعلنها الرسول (ص) على الجميع ، وبعد ذلك سوف تعود لهؤلاء مكانتهم ، التي فقدوها بسبب التخلّف عن الزحف المقدّس .

إذن فيجب عليهم أوّلاً ، ان يكتسبوا رضا الله ، ومن هنا ظلّوا أياماً عديدة يطلبون التوبة ، حتى قبل الله توبتهم .

ولقد ظهرت في كربلاء أروع الدروس والعبر في قيادة

الامام الحسين (ع) الحكيمة ، وفي تأثير شخصيته ونفوذها في القلوب ، ان حكاية هذه القافلة الرائدة نموذج لا مثيل له في تأريخ العالم .

ورغم انّ القائد ، قد اعلن منذ اليوم الأول ، بأنّهم سيُقتلون في سبيل الهدف ، ولكنهم صمدوا رغم كل التحدّيات ، لقد تمكن هذا القائد ، ان يُعِدّ هذه النفوس للالتفاف حول الهدف ، والتضحية والفداء في سبيله ، لقد تمنّى كل واحدٍ منهم ان تكون له اكثر من روح واحدة ، ليقدمها في سبيل الله ، وقد أثبتوا صِدقهم بمواقفهم البطولية التي شهدتها تُربة كربلاء الدامية .

الـرشد الإسلامي

يدور البحث ـ في هذه الدراسة ! حول (الرشد الاسلامي) . والرشد من المفاهيم الاسلامية التي ذُكرت في مجال بعض الاحكام والوظائف .

هناك عدّة شروط للتكليف ، ومنها العقل ، فاذا لم يكن الانسان عاقلاً ، بأن كان مجنوناً ، فلا يتوجّه التكليف له ، ومنها البلوغ ، وغير البالغ كالمجنون لم يكلّف بأي تكليف ، ولم يُطالب بأي وظيفة من الوظائف .

والرشد من المفاهيم التي تضمنته القوانين والتعاليم الاسلامية ، وهو يعبّر عن عمق التعاليم الاسلامية . فانه وان لم يعتبره الاسلام من شروط التكليف ، وينطوي ذلك على مغزى كبير ـ ولكّنه باصطلاح الفقهاء يعتبر شرطاً لبعض الاحكام الوضعية ، وشرطاً لقبول بعض الوظائف والمسؤوليات .

والرشد ـ في المصطلح الاسلامي ـ يقع في الجهة المقابلة لما يسمّى بالسفاهة ، فالانسان الرشيد هو الذي لا يكون سفيهاً ،

وفرّقه عن العقل ، ان العقل يقابل الجنون ، والمجنون لا يكلّف بشيء ، وحتى لا يمكن ان يكلّف بعلاج نفسه ، واصلاح عقله ، لأنه أدنى مستوى من ذلك ، ولكن الرشد لم يقع مقابل الجنون ، فالانسان الرشيد رغم كونه عاقلاً ـ وليس بمجنون ـ لأنه لو كان مجنوناً فلا بّد من نقله لمستشفى المجانين لمعالجته ، ولكن لا يملك القابلية على تحمل المسؤوليات والوظائف . والقرآن الكريم يقول حول اليتامىٰ ﴿ . . . **حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أموالهم** . . . ﴾ النساء الآية / ٦

والاسلام يقول ، لا يكفي البلوغ لوحده في اليتيم ، ليستقل في تصرّفاته ، ولا يكون مشمولاً للوصاية عليه ، وبذلك يمكننا وضع امواله باختياره بحجة أنه قد بلغ السن القانوني للبلوغ فالقرآن الكريم يؤكد على ضرورة توافر شرط آخر وهو (الرّشد) ، فبعد وصوله لمرحلة البلوغ ، فلا بدّ من تعريضه للامتحان والتجربة ، لنكتشف من خلال ذلك . هل انه يتسم بميزة الرّشد ام لا ؟ فإذا وَضَعت في يديه رصيداً مالياً ، فهل يتمكن من تدبيره ، واستثماره استثماراً سليماً أم لا ؟ فهناك الكثير من الأفراد قد بلغوا ، سن البلوغ القانوني . ولكنهم يفتقدون ميزة الرّشد ، أي أنهم لا يتمكنون من الحفاظ على ثروتهم . والاستفادة المثمرة منها ، فيمكن ان يقعوا عرضة لخداع الآخرين واستغلالهم .

ويتوضح مما سبق أن الجنون والعقل مسألة ، والرشد وعدم الرشد مسألة أخرى ، فالجنون مرض ولا علاج له إلاّ الطبيب والدّواء ، وأما عدم الرشد فهو ناشيء من سوء التربية والتعليم ، وعدم الرشد يعني عدم المعرفة لا عدم العقل .

والاسلام في مسألة الزواج ، لا يرى كفاية البلوغ والعقل ، في البنت والولد ليتمكنا من عقد العلاقة الزوجية بينهما ، بل يرى ضرورة وصولهما لمرحلة أخرى ، عقب مرحلة العقل والبلوغ ، وهي مرحلة الرشد ، ولا نهدف من الرشد ، الرّشد البدني فحسب ، بل الرشد الفكري والروحي ، أي أن الولد يفهم ماذا تعني العلاقة الزوجية ، وما هي متطلبات قوله (نعم) في عقد الزواج ، لا بّد ان يكون واعياً بما تفرضه (نعم) من وظائف ومسؤ وليات ، وانه لا بد ان يكون قادراً على تحمّلها وممارستها ، وكذلك الأمر في البنت ، فلا يكفي العقل والبلوغ فيها ، وذلك بأن تصل إلى السن الذي تتمكن معه من الانجاب ، فهل يكفي قولها (نعم) لتشكيل الجو العائلي ؟ كلا ، بل لا بد من توافر شرط آخر . وهو الرشد ، فلا بد ان تفهم ماذا تفعل ، وعلى بصيرة بالوظائف . والمسؤ وليات التي تُلقى على عاتقها عقب قولها (نعم) .

هذا هو مفهوم الرشد ، الذي يعتبر شرطاً ضرورياً لأكثر المسؤ وليات ، وفرقه عن العقل والبلوغ ، ان البلوغ له مسار

طبيعي ، وليس في اختيارنا وارادتنا ، حتى يمكننا التسريع ببلوغه ، أو تأخيره . وعدم العقل مرض . ومن كان مصاباً به ، فهو غير مسؤول عنه ، ولكن الاخرين مسؤولون ومكلفون بعلاجه ، ان كان يقبل العلاج ، وأما الرشد فهو أمر مكتسب ، أي بما أننا عُقلاء بالغون ، فيلزم علينا تحصيله واكتسابه .

الرشد تعريفه واقسامه

والآن لنذكر تعريفاً جامعاً مانعاً للرشد ، وبعد ذلك نتحدث عن المسائل التي تدور حول (الرشد الاسلامي) ، ومما تجدر معرفته ان للرشد انواع عديدة ، وكل مسؤولية ومهمة تفرض نوعاً معيناً من الرشد . وعلى ضوئه يمكن تعريف الرشد بأنه (عبارة عن القابلية ، والقدرة على المحافظة والاستفادة المثمرة من الامكانات والثروات ، التي وضعت بيد الانسان . وفي نطاق اختياره) .

هذا هو تفسير الرشد فاذا تميز الفرد في مجال معين ، بمثل هذه القابلية والقدرة . فيمكننا القول بأنه يمتلك هذا النوع الخاص من الرشد ، فمثلاً لو أردت ان تعين مديراً لمؤسسةٍ اقتصادية . حيث تضع بعهدته المسؤوليات والوظائف الداخلية ، المرتبطة بشؤون المؤسسة فيمكن ان تتوفر في هذا الشخص ، الكفاءة والقدرة على المحافظة والاستفادة المثمرة والادارة ، في هذه المؤسسة ، ويمكن ان يمتلك الشخص ذلك ،

فمسألة الادارة . التي يتحدثون اليوم عنها كثيراً . هي في واقعها من مسائل الرشد ، إذن فإذا كان مثل هذا الشخص متّسماً بالقدرة والقابلية على المحافظة والادارة متمكناً من استثمار القدرات والامكانات والثروات ، بصورة افضل ، فيمكننا القول بأنه يمتلك هذا النوع من الرشد ، أي رشد الادارة ، وإذا لم يمتلك مثل هذه الكفاءة فلا يكون رشيداً في هذا المجال ولا يسوغ لنا تكليفه بهذه المهمة .

وعالمنا اليوم ، يهتم اهتماماً كبيراً بمسألة الادارة ، سواء الادارة التجارية أو الصناعية ، أو الدينية ، ويُعبّر عن العصر الحديث بعصر الادارة ، أي العصر الذي تنبّهَ فيه الانسان ، إلى ضرورة توافر القائمين بمختلف المهمات والوظائف على ميزة الرشد (بالتعبير الاسلامي) ، ومن لم يمتلكها ، فلا يكون معذوراً ، بل عليه اكتسابها وتحصيلها ، مهما بذل من جهود .

الرشد الحيواني الغريزي ، والرشد الانساني المكتسب

وهناك فارق بين الانسان والحيوان في خصوص هذه المسألة ، بأنّ رشد الحيوانات ، رشد غريزي طبيعي ، وأما الرشد الانساني فهو مكتسب ، أي أن الحيوان ، يعرف بصورة غريزية ، الثروات والامكانات ، والقدرات ، التي جعلها الله

تعالى ، لتدبير حياته ومعيشته ، وكذلك يعرف ثرواته الخاصة به .

وكما أن الحيوان يمتلك المعرفة الغريزية بثرواته وامكاناته وكذلك يمتلك القدرة والقابلية على الحفاظ عليها ، والاستفادة السليمة منها بصورة غريزية ، أيضاً فهو غريزياً ـ يعرف ، كيف يتصرّف ، وينتفع من ثرواته ، وكيف يتمكن من المحافظة عليها .

فالنحلة تعرف ، غريزياً ، إمكاناتها وقدراتها ، وثرواتها ، وتعرف غريزياً كيف تحافظ عليها ، وكيف تستثمرها .

وأما الانسان ، خليفة الله ، فإن نشاطاته في هذا المجال ارادية ، فعليه القيام باختياره بالفعاليات والممارسات التي يقوم بها الحيوان غريزياً ، وبتوجيهٍ من قانون الخلقة والطبيعة . وعليه اختيار المهمة والقيام بها ، وهو مسؤول عن كل اعماله ، فلا بد ان ينشط بنفسه ، لتحصيلها ؛ أجل ، ان الرشد ، لكل إنسان هو أمر مكتسب ، فعلىٰ الانسان ان يتعلم انواع الرشد بنفسه .

وتخطر ببالي ، جملة تدور على ألسنة ابناء بعض القرى والارياف ، إذ أننا نسمع من عامة الناس ، أحياناً ، بعض الكلمات والتعابير والامثلة ، غريزة المحتوى ، ففي بعض قرى خراسان ، حين يريدون التعبير عن بلوغ الطفل ، يقولون عنه بأنه (قد عرف نفسه) وهذه الجملة ببساطتها ، ذات مضمون

عميق ، فانهم يفترضون ، بأن هذا الانسان ، لم يكن قد عرف نفسه ، قبل هذا السن ، هو نفسه كان جاهلاً بنفسه ، والآن ، وقد وصل إلى المرحلة التي يعرف بها نفسه ، مع أنه كان يعرف اسمه ، ولقبه ، سابقاً ، واسم أبيه ، ومدينته ، وبلاده ، إن هذا العبارة تشير إلى نوع آخر من المعرفة ، فإن الطفل ابّان طفولته لم يكن يعرف نفسه ، والملاحظ ان هناك الكثير من الأفراد يصلون لسن السبعين أو الثمانين أو التسعين ويرحلون عن الدنيا ، دون أن يعرفوا أنفسهم ، فلم يعرفوا شخصيتهم الفردية ، أو شخصيتهم الاجتماعية ، أو هويتهم الانسانية أو هويتهم الاسلامية ، ونستهدف من ذلك كله ، إلى القول بأن الناس متنبهون ، بصورة مجملة إلى نوع آخر من المعرفة ، حول أنفسهم وشؤون ومجالات شخصيتهم .

شروط الرشد

مما سبق عُلم أن الشـرط الأول لتوفير الرشد ، هو المعرفة فإذا أردنا رشدنا ، ورغبنا في تحصيل القدرة على المحافظة والاستفادة من الثروات والطاقات والتوصل إلى الكفاءة في هذا المجال ، إذا أردنا ان نعرف بأننا نمتلك في أي مجال كان ، النوع الخاص به من الرشد ؟ من أين نعرف ذلك ؟ الشرط الأول . هو المعرفة الصحيحة ، ففي المرحلة الأولى ، لا بد ان نعرف هل اننا على علم كافٍ بوجود الامكانات والقدرات التي جعلها

الله تعالى في نطاق اختياراتنا ، وبالثروات التي توصّلنا إليها خلال التأريخ الطويل للبشرية ، أو اننا نفتقد هذا الشرط الأول من الرشد .

وبعد مرحلة المعرفة ، تأتي مرحلة الكفاءة ، والقدرة على المحافظة والاستفادة .

وبعد ان تعرّفنا على مفهوم الرشد ، ورأينا بأن الاسلام قد اهتم اهتماماً بالغاً بمسألة توافر الرشد في المهمات والوظائف والمسؤوليات الاسلامية وان الرشد أمر مكتسب ومسؤولية مستقلة يُفرض على الانسان تحصيلها والتوصل اليها يلزمنا ان نعرف بأن هناك أنواعاً مختلفة من الرشد ، الرشد الاخلاقي ، والرشد الاجتماعي والرشد السياسي ، والرشد الشعبي .

الرشد الاسلامي

هناك نوع من الرشد نطلق عليه (الرشد الاسلامي) وبحثنا اليوم يدور حوله .

فنحن مكلّفون بالقيام بكثير من المسؤوليات ومنها مسؤوليتنا في خصوص الاسلام نفسه ، ولكن أية مسؤولية ؟ مسؤولية المعرفة ، ومسؤولية المحافظة ، ومسؤولية الاستفادة المثمرة منه ، فلا بد ان نتفحص أنفسنا ، هل يمتلك المسلمون هذا النوع من الرشد ؟ هل يعرف المسلمون اسلامهم معرفة صحيحة ؟ فما دمنا لم نعرف ثروتنا . وكنا نجهل وجودها

وقيمتها ، فإننا لا نكون متوفرين على الشرط الأول من الرشد ، وكنا عاثرين من الخطوة الأولى .

ومما يؤسف له أن واقعنا كذلك ، فاننا نفتقد الشرط الأول من الرشد الاسلامي وهو معرفة الاسلام ، ومعرفة الثروات الاسلامية ، اننا نجهل الثقافة الاسلامية بل إننا لم نعرف حتى اليوم ، بأن للاسلام ثقافة ، لا نعلم بأن لنا تأريخاً مزدهراً جداً ، إننا لم نزل نجهل رجالنا وعظماءنا الذين كان لهم التأثير الكبير في تمدن العالم وتطوره ، ولهذا السبب ، لا نثق بأنفسنا ، ويتملكنا الشعور بالنقص والانسحاق ، بمعنى أننا نرى تأريخنا تأريخاً متخلفاً خاوياً ، وإذا لم نعرف شيئاً فكيف يمكننا المحافظة عليه ، والاستفادة المثمرة منه .

المصاحف النفيسة

وربما ذكرت هذه الحكاية في بعض محاضراتي ، ولعلي قرأتها في بعض الصحف ، فقبل سنتين أو ثلاثة ، أعلن احد القائمين بشؤون حرم الإمام الرّضا (ع) ، بأنه قد اكتشف ما يناهز الثلاثمائة أو الأربعمائة من نسخ القرآن الكريم المخطوطة النفيسة ، بين الأوراق الممزقة التي وضعت في بعض الصناديق ، يذهبوا بها بعيداً عن الحرم الشريف ، ويدفنوها في التراب ، وهذه النسخ النفيسة كانوا قد اودعوها في هذه الصناديق كأوراق ممزقة مهملة ، ولكن بما أنها مشتملة على الآيات القرآنية الشريفة

ولا يجوز أن تتلاعب بها الأيدي ، أو تطأها الأقدام ، لذلك أودعوها في هذه الصناديق ، لدفنها في التراب ، في فرصةٍ مناسبةٍ ، ولكن قبل دفنها اكتشفها انسان رشيد ، ومنع من دفنها .

والحكاية تبدأ من ذلك ، فان حرم الامام الرّضا (ع) كان عبر العصور مهوى الزوار تقصده مختلف الفئات من الملوك والسلاطين ، والوزراء والاثرياء ، والفنانين والخطاطين ، وغيرهم ، وكل واحد من هؤلاء ، كان يحتفظ في بيته،بنسخة أو نسخ متعددة نفيسة ، من المصحف الشريف ، والتي كتبت بخط بديع من اروع الخطوط إذ أن الخطاطين ، والفنّانين ، كانوا يبذلون اقصىٰ جهودهم في كتابة المصحف الشريف ، وتذهيبه ، وتزيينه ، ولذلك كان عليهم الاحتفاظ بمثل هذه النسخ التي بُذلت عليها الجهود المضنية ، في مكان أمين ، لذلك كانوا يقدّمونها كهدايا لحرم الامام الرّضا (ع) ، ولكن نتيجةً لاهمال ابناء الاجيال اللاحقة ، هؤلاء غير الرشيدين هؤلاء الذين لا يدركون قيمة أي شيء حين يحل شهر رمضان المبارك حيث يجتمع الأطفال في الحرم الشريف ، لتلاوة القرآن الكريم ، كانوا يضعون تحت تصرفهم هذه النسخ النفيسة الثمينة ، من القرآن الكريم ليقرأها الناس ، أو تلاميذ المكتبة ، وهؤلاء الأطفال ، كانوا يحاولون ـ بتعبيرهم ـ حفظ القرآن الكريم ، لذلك كانوا يأخذون بتجزئة المصحف الشريف إلى أوراق متعددة ليسهل

حملها وقراءتها ، وحين تتمزق هذه الأوراق ، يقولون ، بأن هذه المصاحف لا يمكن الاستفادة منها بعد ذلك ، لذلك يدفنونها في التراب .

وهكذا ـ كانوا يدفنون مثل هذه النسخ الثمينة ، هذه النسخ التي تعبّر عن أروع ما وصل اليه الذوق ، والايمان ، والابداع والفن ، حيث تدل على تمدن المجتمع والجيل ، الذي كُتبت فيه ، وتدل على العلاقة المفرطة للناس ، بالكتاب المقدس لدينهم ، ولكن ماذا فعل ورثتهم ؟ لقد جعلوها في متناول الأيدي العابثة وبعد ذلك ، دفنوها في التراب ، وهم لا يدركون ، بأن عملهم هذا ، يعبر بوضوح عن عدم رشدهم ويدل على جهلهم بما كان يمتلكه اجدادهم من فن وإبداع وما تجيش به نفوسهم من أحاسيس ومشاعر ، إن هذا العمل المزري منهم ، يدل على عدم ادراكهم لهذه القيمة الاجتماعية ، التي ترفع من شموخهم ، وتزيد من احترامهم ، بين الشعوب الأخرى .

واتذكر بأن استاذي الحكيم الكبير المرحوم ميرزا مهدي الاشتياني أعلى الله مقامه ، وقد جاء إلى قم قبل ما يناهز الخمسة والعشرين عاماً ، واخذ بالتدريس فيها ، قد روى هذه القصة : بأني ذهبت يوماً إلى أحد باعة الكتب ، لأشتري كتاباً ، وقد عرض البائع عليّ ، نسخة مخطوطة لكتاب أجهله ، في الرياضيات ،

وقال لي : إشترِ هذا الكتاب ولعله ينفعك ، وحين سألته عن ثمنه ، أجاب : عشرة توامين ، وبالرغم من أن هذا المبلغ لم يكن آنـذاك بالمال اليسير ، ولم أكن أمتلك مثل هذا المبلغ ، ولكن حين تصفّحت الكتاب ، أدركت بأن مؤلفه احد الرياضيين المسلمين ، وربما كانت له قيمة كبيرة ، قلت : إنني اشتريه بشرط ان تخفّض من ثمنه ، ولكن البائع رفض ذلك ، وبينما كنا نتناوب الحديث حول ثمن الكتاب ، بينما كان الكتاب موضوعاً امام الانظار إذ تقدّم الينا ، شخص أجنبي ، وحين رأى الكتاب سأل عن ثمنه أجاب البائع : عشرة توامين ، وعلى الفور أعطاه المبلغ ، وخرج بسرعة مذهلة وغاب عن الأنظار وبعد ذلك علمنا ، بأن هذا الكتاب قد تناقلته الأيدي ، وقد دفع لثمنه مبالغ طائلة وان هذا الكتاب من حيث المحتوى ، ثمين جداً ، وانه النسخة المخطوطة الوحيدة لهذا الكتاب ، وبعد ذلك ذهبوا بالكتاب إلى مكتبات اوربا ، وعرفنا بأن هذا الرجل كان من اوروبا، وقد كُلّفَ من بعض المكتبات الاوربية ، أن يعثر على هذا الكتاب ، ولعل هناك غيره من الكتب قد كُلف بإحضارها .

أجل . . هذا هو الفرق بين الأمة الرشيدة ، والتي تعرف ثروات الاخرين وكنوزهم أيضاً ، وبعد ذلك تجمع كتب الآخرين ، وتضمها لمكتباتها ، والأمة التي تمتلك هذا التأريخ المزدهـر، ولكنها وصلت بعد ذلك إلى هذا المستوى من

التخلّف ، حيث لا تدرك بأنها تمتلك مثل هذه الثروات والكنوز ، وانه يلزمها الحفاظ عليها والآن ، اذا أردتم العثور على افضل كتب الشرق ، أو النسخ الثمينة من الكتب الاسلامية ، فأين تعثرون عليها ؟ فهل تعثرون عليها في طهران أو اصفهان ؟ كلا بل لا بد ان تذهبوا إلى مكتبات أوروبا، وامريكا وروسيا ، لتعثروا عليها هناك أو إنكم ستعثرون عليها هناك بصورة افضل .

ومما يبعث على التفاؤ ل أن بعض الدول الاسلامية ، امثال تركيا والهند والى حد ما مصر وإيران ، قد فتحت بعض المكتبات العامة القيمة وهذا ما يستوجب الشكر والتقدير .

العمارات والمعالم الاثرية

قبل سنوات ، كانت العمارات والمعالم التأريخية ، الأثرية ، تعيش وضعاً مؤسفاً ومزرياً ، فإنها كانت مفتوحة لكل عابر ، فيدخلها كل احد ، وله الخيار في ان يعبث ما يشتهي ويريد فيها ، وحتى الاطفال ، حين يدخلونها ، وتعجبهم بعض الزخارف فإنهم يتمكنون من قلعها ، فيأخذون مسماراً أو أي شيء آخر ، ثم يأخذون بتحطيم هذه الزخارف وكسرها ، ولا يردعهم أي أحد من هذه الأعمال العابثة الصبيانية ولكن لو كانت أمة أخرى ، تمتلك مثل هذه الزخارف ، والذخائر الأثرية ، التي أبدعتها أجيالنا ، قبل ما يناهز الستمائة عاماً أو

أقل أو أكثر ، والتي تدل بجلاء على مدى ما وصلت إليه الثقافة والحضارة الاسلامية آنذاك ، لم تكن مستعدة ان تبيع حجارة واحدة منها ، بمليون تومان ، اذن لماذا نحن كذلك ، لاننا لا نملك معرفة وادراكاً . والامثلة كثيرة في هذا المجال .

وقد سمعت من شخصية محترمة ، موثوق بها ، ان الاهتمام بالمحافظة على قبة مسجد شيخ لطف الله في اصفهان ، قد بدأ ، حين جاء إلى اصفهان مستشرق معروف ، يبحث حول تأريخ ايران وحضارتها ، وهو البر وفسور بوب ، وقد توفي أخيراً ودفن في أصفهان ، وفقاً لوصيته ، وقد جاء إلى اصفهان ونبّه المسؤولين ، للحفاظ على هذه القبة ، وان عدم المحافظة عليها أو اخرابها ، خيانة للبشرية ان هذه الآثار ليست ملكاً لفرد ، أو أمة معينة ، انها للبشرية جمعاء ، إنها تجسد جمال الروح البشرية ، ومنذ ذلك التنبيه ، أخذنا نفكر في المحافظة عليها .

العلماء المسلمون

ومن ذخائرنا وكنوزنا الثمينة أيضاً ، علماؤنا الكبار ، لست أعلم ، كيف وُلد فينا الشعور بإزدراء ماضينا ، ولعل هذه النظرة وليدة الشعور بالنقص والاحتقار حول ماضينا ، فان الكثير يتوهم ، بأنه لم يخلق منا في الماضي عالم كبير يستحق الاهتمام به ، فقد يتخيل البعض بأن طب ابن سينا انما يفيد

العجائز ، لاستخدامه في العلاج ، ويتخيلون أيضاً ، بأن رياضيات علماء الرياضة المسلمين ، أمثال ابن الهيثم والخوارزمي ، والخيام ، لا تتجاوز نطاق معلومات الطالب الابتدائي اليوم ، لقد وصل الامر بنا ، إلى التعرف على قيمة علمائنا من الآخرين فحين نقدر اليوم أو نحتفي بأمثال الخواجة نصير الدين الطوسي ، أو المولوي أو سعدي ، أو حافظ ، لأن الغربيين يهتمون بهم ، ويحتلون جانباً مهماً من كتاباتهم وتأريخ علومهم وآدابهم والبعض من علمائنا ، لهم المكانة الرفيعة بين نوابغ العالم ، لذلك لم نجرأ أن نذكر اسماً من علمائنا ، فيما اذا لم يهتم الغربيون بمثل هذا الاسم .

وقبل سنوات ، لم يطرح اسم صدر المتألهين الشيرازي ، العارف والحكيم الإلٰهي الشهير ، من قبل الاوروبيين، ولم يكن أبناؤ نا ، يتوقعون بأن هذا الفيلسوف الكبير يمتلك تلك الآراء المتعالية في مجاله الخاص ، ولكن حين اكتشف بعض المستشرقين ، هذا الفيلسوف ونبّه على اسمه ومكانته الفلسفية ، في بعض المؤتمرات العلمية العالمية ظهر اسمه أيضاً ، في كتاباتنا .

القوانين والتعاليم الاسلامية

وهي أهم الثروات كلها ، وأكبرها بل إنها المنبع والأم لسائر الثروات والامثلة التي ذكرناها ، حتى الآن كانت تدور

حول ما ورثناه من الثقافة ، والمدنية والحضارة الاسلامية ، والآن لنضرب مثالاً من الاسلام نفسه ، أي من القوانين والتعاليم الاسلامية .

فقد مرّت سنوات طويلة نتيجة لعدم رشدنا ، وعدم تعرّفنا على الاسلام والفلسفة الاجتماعية والانسانية للاسلام ، كنا ننظر فيها باستهانة للتعاليم الاسلامية ، وكنا نعتقد بأنه يلزم علينا اهمالها ، واقصاءها عن واقعنا ، وبالتدريج فقدت هذه القوانين تأثيرها الفاعل في حياتنا الاجتماعية والعملية ، واحتلت موقعها القوانين والتعاليم التي وضعها الاخرون .

ولكن هل تدارسنا ذلك ؟ هل اننا تفحصنا هذه المسألة بصورة جديّة وبنظرة موضوعية ، واكتشفنا من خلال ذلك ، بأن القوانين الجزائية الاسلامية والقوانين القضائية الاسلامية ، والقوانين العائلية الاسلامية ، لا تصلح لتوجيه المجتمع والأسرة توجيهاً سليماً ؟ ولعلنا لا نتألم كثيراً اذا كنا قد توصلنا إلى هذه النتيجة من خلال الدّراسة الواعية الموضوعية . ولكن مما يؤسف له ، إننا لم نتدارسها جديّاً .

ولأضرب مثالاً ، لذلك ، من القوانين الجزائية الاسلامية ، وهذا المثال انما اذكره بالخصوص ، لأن الاخرين كثيراً ما يستهدفون مناقشته ، والاعتراض عليه .

عقوبة السارق

من القوانين الجزائية الاسلامية العقوبة التي تُفرض على السارق ، وهي قطع الأصابع ، الذي يتعرض اليوم إلى هجوم مكثف واسع ، حيث يقولون ، بأن عالمنا اليوم لا يتذّوق ولا يتحمل قطع يد السارق ويستهدفون من ذلك ، الايحاء الينا بأننا لا نملك رشدنا ، ولا نملك معرفتنا ، ولا نملك حق تقييم الاشياء وتحديدها ، ولا نملك حق الوعي والاختيار بأنفسنا ، بل نحن مفروض علينا ، ان نتقبل ما يتذوقه الآخرون واننا يجب ان نكون تابعين مقلدين في تحدينا ورؤ يتنا ، وتقييمنا للأشياء فإذا التزمنا بأننا لا نملك بأنفسنا حق التفكير والتقييم ، بل ، ان الآخرين بدلاً منا يضعون لنا الافكـار والمناهج ، ولا يحق لنا الا التقليد والتبعية لهم ، فلا أرى ضرورة للحديث وأما لو اعتقدنا بأننا نملك خيارنا ، ومنحنا لانفسنا مقداراً ضئيلاً من الجرأة والشجاعة ، وحينئذٍ يحق التساؤ ل لماذا نتقبل قطع يد السارق ؟

هناك عدة صور واحتمالات لهذه المسألة : أما أن يترك السارق دون مجازاة اذ لم يحدث أمر مهم وخطير ، يستوجب العقوبة ، فَمَنْ مارَسَ السرقة ، يلزمنا عدم التعرض له بسوء ، وعلى تقدير التفكير بمجازاته ، فيجب ان يكون الجزاء مرناً ناعماً ، بحيث يتشوق معه ثانيةً لتكرار عملية السرقة ، وأما ان

نقول بأنه لا تجب مجازاة السارق ، بل تجب تربيته ، وانقاذه ، من هذا الواقع السيء المنحرف ، الذي يعيشه ، وهذا الحديث خادع جداً ، ويتقبله السذّج لكن الحديث ليس حول التربية والمجازاة ، بل الحديث حول ما هو اعمق من ذلك فلو لم تثمر التربية شيئاً ، ولم تؤثر في السارق ، فماذا نفعل ؟ أليست المجازاة حينئذٍ هي العلاج الأخير لاصلاحه ، وأما أن نقول بأن قطع اصابع السارق عقوبة خشنة قاسية ، وانه يلزم الاكتفاء بما هو أقل عنفاً ، فمثلاً بعدة ضربات من السوط ، ولكن ما هو قياس الخشونة والمرونة ؟ ان السرقة تسيء بالأمانة تسيء بنواميس المجتمع ومقدساته بأننا نقرأ كثيراً بأن السرقة نفسها ، قد أدّت إلى قتل السارق نفسه ، أو قتل الآخرين ، أو جرحهم ، او تشويههم وغيرها من الاصابات الاخرى . فلا بد ان نستخدم الجزاء الذي يكون مؤثراً ، ناجحاً في هذا المجال ، بحيث يكون له تأثير العلاج النهائي ، وقد اثبتت التجارب بأن عدم تنفيذ مثل هذه العقوبة في السارق رفع من نسبة عمليات السرقة ، مما أدى ذلك إلى دمار الكثير من الأسر والعوائل وقتل الكثير من الأفراد ، وتشويههم واصابتهم بالنقص في الاعضاء وغيرها ، ولكن حين نُفذت هذه العقوبة ، حيث قطعت أصابع السارق ، فإن ظاهرة السرقة قد اختفت ، واختفت معها كل آثارها ، ومضاعفاتها السيئة البشعة ، وليست هناك قسوة وخشونة في قطع اصابع الخائن بل انه يجتث

الخشونة من أساسها ، إذ أنّ مكافحة الممارسات الخشنة والعنيفة الناجمة من السرقة ، اكثر صعوبة ومشقة .

ويجدر بنا ان نشير إلى هذه الملاحظة : بأن الاسلام يرىٰ بأن القوانين الجزائية لا يمكن اجراؤ ها إلّا بعد الاعلان الصريح عنها ، وان من يقوم بعملية السرقة يجب ان يعمل جيداً بالعقوبة التي تنتظره ، وبالرغم من ذلك يقترف هذه الجريمة ، والملاحظة الأخرى ، يرىٰ الاسلام بأن المجازاة هي العلاج الناجح الاخير لتربية المجتمع واصلاحه ولكن لا يرىٰ بأن الاسلوب الوحيد للحد من السرقة أو أي جريمة أخرى يتحدد بالمجازاة فإن الاسلام يتشبث بمختلف المحاولات والاساليب في هذا المجال ومنها المجازاة .

وهناك اعتراض ، يكرره البعض دائماً ، ويقولون : بأننا لو التزمنا بقطع يد السارق في بلدٍ ما ، ولكن أيّ سارق ؟ فإنما يقطعون يد الانسان الذي تعده القوانين الراهنة سارقاً ، مع انه من الممكن ، وجود آخرين في ذلك البلد نفسه يستغلون الافراد الآخرين ، ويستولون على اموالهم ويعتدون على حقوقهم ولكن بما أن القوانين السائدة لا تعتبر استغلالهم واعتداءهم سرقة لذلك لا تنفّذ عقوبة القطع في حقهم ، إذن فيفقد هذا القانون الجزائي قيمته الفاعلة ، ان هذا القانون سيؤدي إلى قطع يد البائس المحروم ، الذي يمدّ يده أحياناً ، نتيجة

لضغط الظروف التعيسة التي يعيشها ، ليسرق شيئاً ضئيلاً ، ولكن السارق المحاط بالذهب والقوة ، والذي ينهب الآخرين ويسلبهم ويعتدي على الحقوق العامة للناس ، سوف يبقىٰ مصوناً عن المجازاة ، محترماً مبجّلاً لدى القانون .

ولكن هذا الاعتراض من أكثر الاعتراضات تفاهةً وضحالةً ، فهل تعني مجازاة السارق أن تُعرض قضيته على القوانين الراهنة لنرىٰ رأيها فيها ؟ وأنه لو كان يمتلك القوة والذهب فلا يجوز التعرّض له ، إن مسألة قطع أصابع السارق في الاسلام جزء من الاطروحة الكلية الشاملة لتشريع وتطبيق القوانين العادلة .

عدم الاهتمام بالمسؤوليات

من المسائل الهامة والخطيرة جداً ، مسألة عدم الاهتمام بمهمة المحافظة على القوانين والتعاليم الاسلامية بسبب جهلنا ، بفلسفة الانظمة الاجتماعية والسياسية ، والحقوقية ، والجزائية والعائلية الاسلامية ، وعدم القدرة على حراستها والدفاع عنها .

ومما يبعث على التفاؤ ل ان انبثق نوع من اليقظة والوعي في السنوات الاخيرة والافراد اليقظون ، حين يبحثون بعمق حول الانظمة الاسلامية فسوف تصيبهم الدهشة من جهتين : -

الأولى : العمق المعجز للفلسفة الاجتماعية الاسلامية ، والتي لا يمكن صدورها من غير الوحي .

الثانية : وضوح جهل المسؤولين عن القيام بمهمة المحافظة على القوانين وعدم كفاءتهم وقدرتهم على ذلك .

الجهل بما يحدث في العالم الاسلامي

المثال الآخر ، يدور حول عدم رشدنا : من مشخصات المجتمع الحي ، إنه إذا تألّم بعض أعضائه ، ان تفزع الاعضاء الأخرى كلها ، إلى التعرف على ألَمِهِ ، بل مشاركته في محنته ، وتقديم المعونة له ولعل الجميع ، سمع هذا الحديث الشريف عن النبي (ص) (مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمىٰ والسهر) والمجتمع الحي كذلك ، فإنه لا يظل جاهلاً بالاحداث والازمات التي تتهدد بعض أعضائه ولا يبقىٰ مكتوف الايدي تجاهها ولا اقل من التعرّف عليها .

وفي محاضرتي عن (الخطابة) بحثت حول مسألة صلاة الجمعة ، ونقلت ، هناك الرواية المعروفة عن الامام الرضا (ع) « وانما جُعِلَتْ الخطبة يوم الجمعة لأن الجمعة مشهد عام فأراد ان يكون للأمير سبب إلى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة وترهيبهم من المعصية وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم وبخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق » .

وموضع الشاهد ، الجملة الأخيرة من هذه الرّواية (ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق) أي انما وجبت صلاة

الجمعة ، ليكون المسلمون على علم بالاحداث التي تمرّ على العالم ، وبالخصوص العالم الاسلامي .

ولكن حين نتفحص وندرس تأريخ القرون الستة ، أو السبعة الآخيرة فلا نرىٰ إلا الجهل المطبق ، فقد أجتث من جَسد الأمة الاسلامية ، اعز اعضائه واهمها ، ولكن سائر الاعضاء بقيت سادرة في جهلها ، وحكاية الاندلس الاسلامي ـ احد المراكز الثلاثة للتمدن الاسلامي العظيم ، والغرب بنفسه ، يعترف بأنه مدين بحضارته ومدنيته للتمدن الاسلامي في الاندلس ـ مثال واضح على هذه الحقيقة المرّة ، لقد قطع هذا العضو العزيز ، بأبشع صورة ولكن الشرق الاسلامي بقي جاهلاً ، بما حدث ولقرون عديدة بعد ذلك .

واليوم نعاني ، مثل هذه المأساة ، فتمر الكثير من الاحداث المؤلمة والعواصف المهولة على العالم الاسلامي ، ولكن الملاحظ ان لا يكون هناك أدنىٰ معرفة بها ، فضلاً من مشاطرتها في محنها كأحداث الفليبين وغيرها .

دور التعليم والتربية في الرشد

قلنا سابقاً ، ان الحيوانات تمتلك نوعاً من الرشد في نطاق حياتها الخاصة فهي بصورة غريزية ، تحدد ما ينفعها ويضرّها ، وبصورة غريزية ، تمتلك القابلية والقدرة في المحافظة على

امكاناتها والاستفادة منها ، والشيء الذي لا تعرفه أو لا تمتلك القدرة على الاستفادة منه ، هو الذي لم يكن من مختصّاتها في نظام الخليقة ، ولكن الرشد الانساني ، اكتسابي ، والقدرة على المحافظة ، والانتفاع المثمر من الامكانات والطاقات التي اعتبرت في نظام الخليقة من مختصاته ، هي بدورها اكتسابية ، والتعليم والتربية يهتم بهذين المجالين ، فإن التعليم يوفّر المعرفة ، التي هي الرّكيزة الأولى للرشد ، والتربية توفر القدرة التي هي الركيزة الثانية .

إتساع ميدان الرشد الانساني

وهناك فارق آخر بين رشد الانسان ، ورشد الحيوان ، وهو أن رشد الحيوان آني ، موضعي ، وأما رشد الانسان فهو غير محدد بزمان وحال ، بل هو شامل للماضي والمستقبل ، وغير محدد بالموضع الذي يعيش فيه ، بل انه يشمل المواضع الأخرى أيضاً .

القدرة على التنبؤ

رشد الانسان بالنسبة لماضيه ، كما ذكرناه ، أي المعرفة بماضيه وتأريخه والاستفادة المثمرة من الامكانات والقدرات التأريخية ، وأما رشده بالنسبة للمستقبل ، فيعني القدرة على التنبؤ عن المستقبل ، أي التنبؤ بالحوادث المستقبلية ، ووضعها تحت قيادته وتوجيهه بقدر امكانه بمعنى قيادة الزمان وهدايته

وتوجيهه على ضوء القوانين والسنن الحاكمة على الزمان والتأريخ .

ومثاله : ما يلاحظ اليوم في بعض الدول المتطورة ، كيف تتنبأ بالحوادث ثم تتأهب لمواجهتها . وتوجيهها بقدر الامكان .

فالتأهب لمواجهة المستقبل ، وقيادته ، وتوجيهه ، التي هي من مؤشرات الرشد الاجتماعي ، تنشأ بدورها من القدرة على التنبؤ ، ومن الطبيعي ان التنبؤ العلمي هو الذي يخضع للقوانين العلمية ، فلا يشمل تنبؤات المدّعين للغيب ، حيث يتكهنون من أول السنة (فروردين) بحوادث السنة المقبلة ، ثم ينشرونها ، لأجل ، اشغال الأذهان ، ولتكون مادة للاحاديث الفارغة ، ولكن بعد نهاية السنة ، لا يتحدث احد عن مصير هذه المهملات ، والتنبؤ العلمي يعتمد في أساسه على معرفة المؤثرات والعوامل الفاعلة في المرحلة الراهنة ومتطلباته ، فمعرفة الحاضر له دوره الكبير في القدرة على التنبؤ اذن فشرط الرشد ، معرفة الزمان ومتطلباته ، والأفراد الذين لا يعرفون جيداً عصرهم وزمانهم ، لا يمكنهم التنبؤ عن المستقبل ، وهدايته وتوجيهه وقيادته .

وحتى الآن كان حديثنا يدور حول الدلالات التي تؤشر على عدم الرشد وهي اللامبالاة ، وعدم المعرفة ، وعدم الاطلاع

على العوامل الفاعلة في الزمان ، وعدم القدرة على التنبؤ وعدم الرؤية لما لا يتجاوز موطأ القدمين .

دلالات الرشد

ونتحدث هنا عن بعض الدلالات التي تؤشر على وجود الرشد ، بصورة موجزة جداً .

١ ـ المطبوعات

والمطبوعات لدى كل أمة دليل على مستواها ، ونظرة واحدة لمطبوعاتنا والتي تظهر اليوم باسم الاسلام والدين ، تدلنا على مستوى الرشد في مجتمعنا ولأجل ان نلمس بأيدينا الحقيقة المرة ، أضع نصب اعينكم مقارنتين : ـ

المقارنة الأولى : بين المطبوعات الدينية والاسلامية في عصرنا ، والآثار والكتب التي ألّفها المسلمون في العصور الاسلامية السابقة . وهذه المقارنة تثير فينا الاسف على واقعنا وحاضرنا ، يقول الغربيون : إذا اردت مراجعة الكتب الغربية ، فاقرأ الكتب التي هي أكثر قرباً من عصرنا ، لأن الكتب الغربية كلما تقارب زمن تأليفها من عصرنا ، إزدادت نضجاً وعمقاً واتقاناً ، وغزارة في المحتوى ولكن الأمر بالعكس في الكتب الاسلامية ، والشرقية ، فإذا أردت مراجعتها فراجع الكتب التي هي اكثر قدماً وتباعداً عن عصرنا ، حيث تصل

للقرون الاسلامية الأولى ، لأنها كلما تقارب زمن تأليفها من عصرنا ، ازدادت ضحالة وتخلفاً وتضاءلت قيمتها العلمية ، وكلما تباعدت عن عصرنا ، كانت أفضل ، واكثر عمقاً وابداعاً وتكاملاً .

وهذا القول وان كان مبالغاً فيه ، ولكن مما لا يشك فيه احد ، أن الكتب الاسلامية التي تصدر اليوم باسم الارشاد والدفاع عن الاسلام هي كذلك ، فإن النتائج السيئة التي تنتج من أغلبها اكثر من نفعها ، فبدلاً من ان تؤدي إلى تنمية الوعي والمعرفة واليقظة ، نلاحظ انها تؤدي إلى التخدير والانحراف وبدلاً من توفير الهداية والتوجيه نلاحظ انها تؤدي الى الضياع والضلال ، ولعل اهم الاسباب في ذلك هو عدم التنظيم في محيط رجال الدين ، فكل من تحلو له الكتابة ، يمسك بالقلم ثم يكتب عن الاسلام ، وبعد ذلك يطلب من شخصيةٍ مرموقةٍ تقريظ كتابه ، ثم يركبه الغرور .

٢ ـ القوىٰ الفكرية :

القوى والطاقات الفكرية لدى أمة ، حيث يمكن لها التعبير عن أفكارها ومعطياتها ، من جملة الثروات القيمة لتلك الأمة ، ولكن لا بد ان نعرف ما هي المسائل والموضوعات التي يجب استثمار هذه القوى فيها ؟ وما له علاقة بالرشد وعدم الرشد ، ليس وجود أو عدم وجود العقول والادمغة الكبيرة ، بل

المهم ملاحظة المسائل التي يلزم ان تستثمر هذه الطاقات فيها ، إن الذهن القوي ـ نظير الساعد القوي ، فإن الساعد القوي لا يعتبر منتجاً ومثمراً بنفسه ، فأي فائدة مثمرة لذلك الساعد القوي والعضلات المفتولة التي تحفر التراب ، ثم تنقله من موضع إلى آخر .

والملاحظ ، ان بعض المجتمعات ، تبدد القدرات والكفاءات الذهنية ـ أي أشرف واعز الثروات البشرية ـ في المسائل العديمة الفائدة ، أو أنها ضئيلة الفائدة ، فبالرغم من وجود الآلاف من المسائل والمشاكل الشائكة والمعقدة سواء كانت نظرية أو عملية ، والتي تطالب ، وبالحاح بالحل ، ولكن هذه القوىٰ والطاقات الفكرية تستنزفها معالجة بعض المسائل المكررة ، التي لو كانت تقبل الحل ، فإنها قد حلت آلاف المرات ، ولكن المتعارف استخدام الكفاءات ، والطاقات الذهنية ، في المسائل نفسها ، دون ان يكون لها أي ثمرة وعطاء . فمثلاً ـ قد اعتدنا على تبديد الكثير من القوىٰ الفكرية في معالجة شبهة ابن قبة ، أو أمثالها من الشبهات التي قد بُحثت ، وحُلت ، مرات عديدة ـ بالرغم من وجود المسائل والمشاكل الهامة التي هي اكثر ضرورة من شبهة ابن قبة ، واكثر فاعلية ، واشد احتياجاً للعلاج ، ولكن لم يفكر فيها أي أحد ، وكانت مشكلتنا ، إلى يوم القيامة والتي يلزمنا التفكير فيها ، هي هذه المشكلة فحسب وبعض المشاكل الأخرىٰ

التي تماثلها ، ولا يمكن ان نوضّح هذه المسألة اكثر من ذلك .

المواقف العاطفية

ومن الدلالات الأخرىٰ للرشد وعدم الرشد ، المواقف العاطفية الاجتماعية ، فان المجتمعات تتفاوت فيما بينها في مواقفها العاطفية ، إننا في وهمٍ كبيرٍ ، حين نعتقد بأن المواقف العاطفية للمجتمعات الدينية ـ باصطلاحنا ـ متلونة دائماً باللون والطابع الديني ، أو أنها منبثقة في واقعها من دوافع دينية ، ولكن لو كانت تلك المواقف العاطفية ، تدور حول مسائل وموضوعات دينية ، فهل يكفي ذلك لنعتبر هذه المواقف بنفسها ، دينية ، ومتطابقة مع المصالح الدينية ؟ والجواب ، كلا وهذه هي الملاحظة التي لها أهميتها في هذا المجال .

فنرىٰ أحياناً بعض الناس ولعوامل اجتماعية معينة ، يفقدون موقفهم العاطفي ، من بعض الأصول والأسس الدينية ، وكأنما قد تحجّر احساسهم تجاه هذه الأصول ، فيشاهدون نصب أعينهم ، بأن هذه الأصول تستحق ، دون ان يحركوا ساكناً ، ولكنهم في بعض المسائل الأخرى ، التي تعتبر من أصول الدين بل من فروعه ، وربما لا تكون من الفروع أيضاً ، بل من الشعائر ، أو أنها من الأصول ولكنها كبقية

الأصول الأخرىٰ ، ولكنهم يتخذون تجاهها موقفاً عاطفياً مشدداً بحيث يتملكهم الغضب الشديد من النقد الطفيف أو الاشاعة الكاذبة عنه .

وأحياناً ، تسود المجتمع بعض المواقف العاطفية الكاذبة ، أي ان الناس يتخذون تجاه بعض القضايا موقفاً عاطفياً حاداً ، دون ان يعتمد هذا الموقف على دليل منطقي ، يروي أحد الفضلاء بأنه كان يعيش في بعض المدن الايرانية احد التجار المقدسين ، ولم يتفضّل الله عليه الا بولد واحد ، وكان هذا الولد عزيزاً واثيراً لديه جداً ، ولذلك نشأ هذا الولد مدلَّلاً ، وشب الولد وأصبح شاباً رشيقاً ، والشباب ، والفراغ ، والثروة ، والدلال أدّت بهذا الشاب إلى ما لا يحمد عقباه وقد تألّم الأب كثيراً لمصير ابنه ، ولم يصغ الولد أبداً لنصائح أبيه وتوجيهاته وبما انه كان الولد الوحيد ، لم يكن الأب مستعداً لطرده ، كان يعتصره الا لم ، من سلوك الابن الشائن ، وقد وصل الانحراف بالولد إلى ان يعقد مجالس الخمرة في بيت أبيه ، الذي لم يشهد الا المجالس الدينية ، وبالتدريج فتح البيت أيضاً لدخول الفحشاء ، وكان الأب البائس يعيش معاناة قاتلة ، دون ان ينبس ببنت شفة .

وآنذاك كانت الطماطة الفرنسية جديدة العهد بإيران ، وكان البعض يشيعون عنها ، بأنها مستوردة من فرنسا ، وانها

محرمة ، ولذلك امتنع الناس من استعمالها ، وبالتدريج ، وجد موقف عاطفي حاد من قبل اهالي المدينة تجاه هذه الطماطة ، وانها اشد حرمة من سائر المحرمات ، وكانوا يطلقون عليها بعض التعابير التي تدل على مدىٰ ما تضمره نفوسهم أمثال (الباذنجان الأرمني) فإن تعبير الطماطة الفرنسية يدل على وطن هذه الطماطة ، ولكن التعبير الثاني يحدد دينها ومبدأها ، ومن هنا أصبح موقفهم العاطفي من هذه الطماطة أكثر حدة وضراوة .

وفي يوم ما قالوا لذلك الأب ، الذي يقترف ابنه اكثر المحرمات بشاعة دون ان يحرّك ساكناً ، اخبروه ، بأن ابنه قد أدخل اليوم لبيته ، الطماطة الفرنسية .

وفقد الأب أعصابه ، وصاح على ابنه ، واحضره بغضب ، وقال له : أي بني لقد شربت الخمر فصبرت ، واقترفت الفاحشة فصبرت ولعبت القمار فصبرت ، وفتحت البيت للخمرة والفاحشة فصبرت ، ولكن الآن ، قد وصل الانحراف بك ان تدخل لبيتي الطماطة الفرنسية ، انني لا اتحمل ذلك أبداً ، فمن هذا اليوم انت لست بولدي ، ولا بد ان تخرج مطروداً من البيت .

هذا مثال من المواقف العاطفية التي تتخذ في بعض المسائل التافهة ، فيصل الأمر بهذا الأب ان يكون موقفه العاطفي من الطماطة الفرنسية أشد بكثير من موقفه تجاه الخمرة والقمار والفحشاء .

اما المواقف العاطفية الكاذبة تجاه المسائل الاساسية والأصولية ، ولعل البعض تتملكه الدهشة والعجب ، من قولنا ، بوجود المواقف العاطفية الكاذبة تجاه المسائل الاساسية ، ولكن واقعنا يصادق على قولي ، والدليل عليه ، ما نراه بوضوح من أن الأصول تُسحق، دون أن يُتخذ تجاهها أي موقف عاطفي ، فنعلم من ذلك ان المواقف العاطفية تجاه الكثير من الأصول مواقف كاذبة .

ألَم تلاحظوا الضربات الموجعة الموجهة للاسلام ، وللمقدسات الاسلامية بالخصوص ، فمثلاً قد وُجِّهَتْ الاهانة الصريحة لشخص الرسول (ص) وحيكت الاتهامات والافتراءات ، وقد انحرف البعض من خلال ذلك ، ولكن لم يُتخذ تجاه ذلك أي موقف عاطفي ، واكتفينا بالتحسر والتأسف القلبي فحسب ، ولكنهم حول مسألة ، ولعلها نتجت غفلةً واشتباها ، دون ان يكون صاحبها متعمداً مغرضاً وربما كان يمكن معالجتها بالحوار الأخوي ، كيف كان موقفهم العاطفي حاداً ملتهباً وكيف اثاروا الاجواء حولها ، بحيث لم ينتفع منها الا اعداء الاسلام .

النَفَقات والمبرّات

المثال الآخر للتعرف على الرشد وعدم الرشد ، أنواع الانفاق والأموال التي يدفعها الناس باسم الانفاق في سبيل الله ،

وأنواع المصارف التي يتخيرونها لاموالهم ، تدل على مستوى الرشد الاسلامي بين المسلمين ، وللقرآن الكريم بعض التعابير حول تأثير أنواع الانفاق ، ونذكر مثالين ، أحدهما للانفاق المُثمر النافع والآخر للانفاق المنحرف والخاطىء .

الأول قوله تعالى ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾ وهذه آثار الانفاق السليم الذي ينفق في سبيل الله ، اي في سبيل المصالح العامة حيث سيتضاعف نتاجه إلى السبعمائة مرة .

وأما مثال الانفاق المنحرف ﴿ **مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابتْ حرثَ قوم ظَلمُوا أنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وما ظَلمَهُمْ الله ولكن أنفسهم يَظلمُون** ﴾ . آل عمران آية ١١٧.

وفي كلتا الآيتين كان الحديث حول الانفاق ، الانفاق السليم الذي يتضاعف نتاجه ، والانفاق المنحرف ، الذي يكون له نتائج معكوسة ، حيث سيجلب الدمار والهلاك حتى للآخرين .

والقرآن الكريم يرى بأن المؤمنين انفاقهم دائماً من النوع الأول ، وأما انفاق الكفار فهو من النوع الثاني .

وكما هو الأمر في بعض الكتابات، فبدلاً من أن تكون

موجهة ، وهادية وباعثة على الحركة والنشاط ، تنتج أثراً مضاداً فإنها ستؤدي إلى الانحراف والتخدير والجمود ، والانفاق كذلك ، فبعض أنواعه ، كما انه لا ينتج اثراً مفيداً بل مخرباً لصاحبه ، وكذلك ، فإنه يحمل الدمار لنتاج الآخرين أيضاً ، نظير بعض الاغذية التي تدمر البدن وتغذي الجراثيم التي تعيش في البدن ، وتستنزف قوته .

فيلزم علينا ان نتدارس جيداً أنواع الأموال التي ينفقها الناس بإسم الخيرات والمبرات ، حتىٰ نتعرف على القوىٰ التي تتغذىٰ بها ، هل هي القوىٰ الصاعدة والبنّاءة ، أم القوى المخرّبة الهدّامة .

الموقف من الفرص

والمؤشر الآخر للرشد وعدمه ، المواقف من الفرص ، أي اسلوب الاستفادة من الفرصة ، لئلا تذهب ادراج الرياح ، ولا مجال لنا للتفصيل حول هذه المسألة .

ومما سبق ، يتوضح لنا مدى ما نملكه من الرشد الاسلامي ، فهل نحن مجتمع إسلامي رشيد ، هل نعرف ثرواتنا وقدراتنا ؟ هل نمتلك القدرة على الحفاظ عليها والاستفادة منها ؟ فان هذه الثروات أمانة أودعها تأريخنا بأيدينا ، وما هو مدلول المؤشرات في هذا المجال ؟

ولكن يجب ان لا يصيبنا اليأس والقنوط ، ولا بد أن نواجه اهتمامنا لمسؤولياتنا وكما قلنا بأن الرشد ، مما يمكن تعلمه ، واكتسابه ، فعلينا ان نبذل أقصى الجهود لتحصيله والتوصيل اليه ، يجب ان نرفع من مستوى الرشد في مجتمعنا ، وليست مهمة قادة الدين إلّا ذلك .

والحمد لله رب العالمين

الفهرست

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر	٥
نبذة من حياة الاستاذ المطهري	٧
الدين شمس لن تغيب	
هل للدين نهاية	٢٣
مقياس الخلود	٢٤
فطرية الدين	٢٨
كيف وجد الدين ؟	٢٩
الآراء حول فطرية الدين	٣٤
الدين الوسيلة الوحيدة لاشباع الحاجات	٣٩
الدين رصيد الاخلاق والقانون	٤٢
عوامل الانحراف عن الدين	٤٤
المدد الغيبي في حياة الانسان	
تمهيد	٥٥
تعريف الغيب	٥٩
ستار الغيب	٦١

الموضوع	الصفحة
المحدود واللا محدود	٦٢
عالم الغيب	٦٨
الامداد الغيبي	٧١
انواع الامدادات الغيبية	٧٣
الفرق بين الفكر المادي والإلهي	٧٦
الإلهام والإشراق	٧٩
الامدادات الغيبية الاجتماعية	٨٤
المِهدَويَّة في الاسلام	٨٥
مستقبل العالم	٨٩
القيادة والادارة في الاسلام	
الرشد في المصطلح الاسلامي	١٠١
تعريف الرشد	١٠٣
الرشد الاجتماعي والشعبي	١٠٣
الرشد الفردي والاخلاقي	١٠٤
إدارة الذاكرة	١٠٤
الرشد في العبادة	١٠٧
الإمامة والقيادة	١١٠
ابراهيم القائد والإمام	١١١
مصادر لدراسة القيادة في الاسلام	١١٨
شواهد من تاريخ الاسلام	١٢٣
الرشد الاسلامي	
الرشد تعريفه واقسامه	١٣٤

الموضوع	الصفحة
الرشد الحيواني الغريزي ، والرشد الانساني المكتسب	١٣٥
شروط الرشد	١٣٧
الرشد الاسلامي	١٣٨
المصاحف النفيسة	١٣٩
العمارات والمعالم الأثرية	١٤٣
العلماء المسلمون	١٤٤
القوانين والتعاليم الاسلامية	١٤٥
عقوبة السارق	١٤٧
عدم الاهتمام بالمسؤوليات	١٥٠
الجهل بما يحدث في العالم الاسلامي	١٥١
دور التعليم والتربية في الرشد	١٥٢
اتساع ميدان الرشد الانساني	١٥٣
القدرة على التنبؤ	١٥٣
دلالات الرشد	١٥٥
المواقف العاطفية	١٥٨
النفقات والميراث	١٦١
الموقف من الفرص	١٦٣
الفهرس	١٦٥